الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف . المسيلة

كلية:الآداب واللغات
قسم:اللغة والأدب العربي
رقم التسجيل: 125089387

ميدان:لغة وأدب عربي
فرع: دراسات لغوية
تخصص: لسانيات عامة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالب: عيسى بلهادي

بعنوان

ظاهرة العدول في الحركات الإعرابية
دراسة تطبيقية-الربع الأول من القرآن الكريم- أنموذجا

تاريخ المناقشة : 25-05-2017

لجنة المناقشة

أ- الطاهر لحواو	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
د- الربيع بوجلال	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
أ- مختار لبزة	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2016 -2017م/1437-1438هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

الشكر من قبل ومن بعد لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذا العمل وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل منه فائدة لغيري من الطلبة الباحثين.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" مَن صَنَعَ إِليكُم مَعرُوفًا فَكَافِئُوه ، فَإِن لَم تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوا بِهِ فَادعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوا أَنَّكُم قَد كَافَأتُمُوهُ"

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأرقى العبارات وأصدقها وأحلى الكلمات التي تناسب تواضعه، إلى الذي يقدس العلم ويشجع طالبه،إلى الذي كان سندا لي في كل أيامي وحملني على كفوف الراحة وكان قنديلا ينير دربي والذي كان سببا في نجاحي دائما، ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته القيمة أستاذي الدكتور الفاضل " الربيع بوجلال " الذي يعجز اللسان عن التعبير على واجب الشكر والامتنان والعرفان اتجاهه.

كما أتقد بالشكر إلى كل الأساتذة الذين لم يبخلوا عني بشيء في فترة دراستي،وكل من قدم لي توجيهات ونصائح أنارت دربي طيلة فترة الدراسة.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني ولو بكلمة في إنجاز هذه المذكرة في أجلها المحدد وأذكر بالأخص الأخوة:جوادي سيد علي،بن يوسف لخضر

عيسى بلهادى

الإهـــــداء

إلى أحق الناس بحسن صحبتي والدي الكريمين حفظهما الله تعالى إكراما وإحسانا وأطال في عمرهما

إلى قرة عيني ومؤنستي وشريكة الأفراح والأقراح زوجتي " سعاد" التي منت عليّ بحسن المساعدة والتحفيز

إلى نصفي الأخر وقرة عيني ابني "عبد المؤمن" وابنتي "لينة" أطال الله في عمرهما

إلى أخوتي الأعزاء " عبد الغني ، موسى، خالد" وإلى أخواتي " وهيبة، زهرة، نعيمة، فيروز، وزوجة أخي فضيلة"

إلى أبناء أختي " آدم ونور" وابنة أخي " مرام" حفظهم الله وأطال في عمرهم

إلى رفيقي في الدراسة الجامعية " فوضيل بلقاسم "

مقدمة

مـقدمة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه المجيد باللغة العربية وفتح لمن اصطفاه باب الاشتغال بدقائق أسراره المصونة فارتفعت درجته بين البرية، نحمده حمدا من الصبح موشحا إلى متون الرتب العليا.

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم إليه من الإيمان والمتمم إحسانه بما أقام لهم من جلي البرهان فله الشكر على جزيل إحسانه وعظيم مننه والصلاة والسلام على النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إن لغتنا العربية تتحلى بالجمال وأنواع من المفردات والجمل الحسان وتسمو بما اشتملت عليه من مظاهر الإبداع والإقناع حيث تتظاهر فيها الحركات بالمعاني وتتباين فيها المفردات بالمباني وتستأثر التراكيب بالإفهام والمعايير ذكرا أو حذفا إثباتا أو نفيا، تقديما أو تأخيرا، نيابة أو تحويلا إيماء أو قصدًا وتزخر بما حوته من ظواهر كالاستغناء والاجتزاء والاكتفاء والإفراد والتثنية والجمع والعدول.

هذا الأخير الذي كان عنوانا لبحثي هذا وهو حين تتعاطاه العرب إنما نقصد به إلى صرف الكلام عن وجهه الذي كان له ولم يكن هذا الصرف أو العدول بغير فائدة وإنما يراد به قصد ما كان له لمن يفهم لولا العدول.

لقد وقع الاختيار على هذا البحث بالذات ولم يكن اختيار الرسالة عشوائيا بل اعتمدت في انتقائها على معيارين أولهما: أهمية ظاهرة العدول في القرآن الكريم والثاني الآراء التي أثيرت في هذه الفصول، وقد اتبعت في دراستي هذه على المنهج الوصفي لمناسبته الموضوع.

في البداية كنت بصدد دراسة ظاهرة العدول في القرآن الكريم مركزا على الحركات الإعرابية فقط ولكن أثناء البحث في هذه الظاهرة التي لا تقتصر على لون معين في القرآن الكريم وجدت بأن لها صور متعددة وأشكال متنوعة ومن أهم صورها إضافة إلى العدول في الحركات الإعرابية، العدول في العدد، العدول في الجنس،تذكير المؤنث،تأنيث المذكر التعبير عن الجمع بلفظ الواحد والتعبير عن الواحد بلفظ الجمع وغيرها من أنماط الحمل على المعنى، ومخاطبة الاثنين بلفظ الواحد والتعبير عن المثنى بلفظ الجمع، التعبير عن جمع القلة بالكثرة والحمل على الفصل.

إن هدف وأهمية هذه الدراسة هي محاولة تقصي ظاهرة من ظواهر هذه اللغة العجيبة التي كان لها الشرف أن كانت لغة القرآن الكريم.

ولا أدعي الإحاطة بكل ما يتصل بظاهرة العدول في القرآن الكريم بل الذي قدمته هو قليل من كثير وغيض من فيض.

و إني أقر بفضل الله تعالى الذي وفقني لإنجاز هذا البحث الذي أرجوا من الله تعالى أن ينتفع به إخواني المسلمين.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع يتقدمها القرآن الكريم لأن الدراسة مرتبطة بجزء من كتاب الله تعالى ومحمد ابن منظور: لسان العرب الطبعة الأولى وسيبويه إمام النحاة وأبو بكر ابن سراج النحوي(الأصول في النحو)، محمد إبراهيم عبد السلام: رسالة ماجيستر: ظاهرة العدول في اللغة العربية: إشراف الدكتور عبد الرحمان إسماعيل: جامعة أم القرى، السعودية، 1989.

أما بالنسبة للخطة المتبعة في إنجاز هذه الرسالة فقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وفصلين، الفصل الأول وهو الجانب النظري بعنوان العدول دراسة نظرية وتناولت في الفصل الأول التعريف بظاهرة العدول وآراء العلماء في هذه الظاهرة، الفرق بين العدول والعدل، أنواع العدول، معايير العدول والفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي بعنوان العدول في القرآن الكريم تناولت فيه العدول في الحركة الإعرابية والعدول في العدد في النص القرآني، العدول في الجنس تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، الحمل على المعنى، الحمل على اللفظ، الحمل على الفصل، وظيفة العدول،وخاتمة وفيها النتائج المتوصل إليها من هذا البحث.

والأكيد أن كل بحث تعيقه بعض الصعوبات ولم تكن هذه الصعوبات في المراجع فهي والحمد لله متوفرة لكن ضيق الوقت هو العائق الوحيد أمامي.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل الدكتور " **الربيع بوجلال**" على ما قدمه لي من مساعدة ومجهودات كان لها دورها الفعال في إرساء معالم هذه الرسالة.

الفصل الأول: العدول دراسة نظرية

1- مفهوم العدول

1-1- مصطلح العدول عن القدماء

1-2- مفهوم العدول عن المحدثين

1-3- مفهوم العدول عن النحويين والبلاغين

2- التمييز بين هذه المصطلحات

2-1- بين العدول والانحراف

2-2- بين العدول والانزياح

2-3- بين العدول واللحن

3- الفروق الجوهرية بين العدل والعدول

3-1- وجوه الاتفاق

3-2- وجوه الاختلاف

4- مفهوم التعادل

5- المعادلة

6- معيار العدول

6-1-مستوى الصواب والخطأ

6-2- النظرة الجديدة للأخطاء

7- أنواع المعيار

7-1- المتلقي معيار الصواب والخطأ

8- أنواع العدول

1- مفهوم العدول

تحمل مادة (عدل) في معناها المعجمي معاني عدة منها: حاد، مال ويقال:عدلاً وعدولاً بمعنى حاد عن الشيء ومال إلى غيره، ويقال عدل عن الطريق: حاد وعدل إليه رجع[1]، وتأتي بمعنى ترك الشيء والانصراف عنه إلى غيره، يقال: عدل الفحل عن الضرَاب: أي تركه وانصرف عنه[2]. وهذا ما اتفقت عليه أغلب المعاجم العربية القديمة والحديثة " فلو تلمسنا دلالة العدول في المعجم العربي لوجدناه يدول حول الخروج والانحراف"، أي أن العدول يعني الخروج والحياد عن أصل ما.

أما اصطلاحا فقد شاعت ظاهرة العدول في الأساليب الأدبية، ويعرف الأسلوب بأنه انحراف وخروج عن المألوف والمتعارف عليه، وهو الذي يجعل كل إنسان يتميز عن غيره من خلال تصرفه بمختلف مستويات الكلام، إذ إنّ " الأسلوب مفارقة Departure أو انحراف Déviation عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري"[3] ، وهذا يعني أن اللغة عبارة عن نظام ثابت تمثله القواعد المعيارية المحددة لتتعرض هذه الأخيرة إلى مجموعة من المتغيرات المتعددة، تعرف بالعدول وتتحدد حسب كل فرد.

وعلى هذا الأساس قسم المعنى على ثلاثة مستويات:

" الأول: المستوى النمطي النحوي.

الثاني: المستوى الفني البلاغي.

الثالث: المستوى المرفوض (الخطأ)[4]، فأما المستوى الأول فيمثل النمط الثابت الذي يمثله المعيار أو النظام اللغوي بمختلف أبعاده: الصوتية والتركيبية والنحوية والدلالية، وأما المستوى الثاني فهو رتبة الإبداع،وفي هذا المستوى يظهر العدول،إذ تنتهك وتخترق جوانب معينة من قواعد المستوى الأول، وهذا هو المجال الذي اهتم به المحدثون لغويون كانوا أم

---

1 – الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط 2، القاهرة: 1985، ج1، مادة: عدل.

2 – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، (د ط)، دار الجيل، مادة: العدل.

3 – سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط3، القاهرة، 1992، عالم الكتب، ص43 .

4 – عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم،ط 1، القاهرة: 2004، الدار الثقافية، ص 54.

بلاغيون على غرار القدماء أما المستوى الثالث فهو المرفوض الذي يخرج عن نطاق الفصاحة والمنطق، إذ قد لا تتوفر فيه الفائدة المتمثلة في الإبلاغ، وهذا ما أشار إليه تودوروف (Todorov) إذا يقول إن"الاستعمال يكرس اللغة في ثلاثة أضرب من الممارسات: المستوى النحوي والمستوى اللا نحوي، والمستوى المرفوض، ويرى أن المستوى الثاني يمثل أريحية اللغة فيها يسع الإنسان أن يتصرف"[1]، فالمستوى الأول يمثل مستوى الامتثال لقواعد اللغة أما المستوى الثاني فهو مستوى العدول.

كما قسم اللسانيون المحدثون التراكيب اللغوية من حيث انسجامها مع نظام اللغة وقوانينها النحوية، أو مخالفتها لها، إلى ثلاث أنماط:

1- التراكيب الصحيحة: وهي الجمل الصحيحة من حيث النحو والدلالة، فهي جمل مفيدة، تؤدي معنى معينا، يحسن السكوت عنده، ولا ينتظر المتلقي معه غيره.

2- التراكيب الفاسدة: وهي الجمل غير الصحيحة نحويا، والتي لا إفادة فيها لفسادها على المستويين النحوي والدلالي.

3- التراكيب المقارنة: ويطلق عليها أيضا اسم (الجمل غير النحوية) وهي: الجمل البينية التي لا تتوافر فيها شروط الصحة الكاملة، المتوفرة في التراكيب الصحيحة. وليست أيضا فاسدة، فهي وإن تضمنت معنى وإفادة يحسن السكوت عندهما، إلا أنها من حيث قواعد اللغة تعتبر غير صحيحة لعدول تركيبها عن المعيار التي تخضع له التراكيب اللغوية[2]. والملاحظ أن اللسانيين والبلاغيين اتفقوا على أن العدول يتم في مستوى وسط، يقع بين مستوى أول، لغته ذات تراكيب صحيحة لا جدال فيها ومستوى فاسد لا يتم به المعنى، فوقع الإهتمام على المستوى الوسطي أين يتم خرق النظام اللغوي وتجاوزه مع بقاء الفائدة.

وفي تصنيف آخر للكلام قسم الأسلوبيون الأداء اللغوي إلى مستويين:

المستوى الأول: يطلقون عليه مصطلح (المستوى المثالي) للأداء، وفيه تتجسد قوانين النحو كاملة، وتتجلى الصورة المثالية للغة.

---

[1] – عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم،ط 1، القاهرة: 2004، الدار الثقافية، ص 54.

[2] – المرجع نفسه، ص 145.

المستوى الثاني: (المستوى الإبداعي) وفيه يتم الخروج عن النمط العادي للكلام بمخالفة مثالية اللغة وانتهاك قوانينها والعدول عن أعرافها، مما يسهم في توليد المعاني المبتكرة[1]، وهذا المستوى هو نفسه الذي أشرنا إليه سابقا والذي ينطوي تحته مفهوم العدول عن النظام اللغوي أو الأصل.

وبما أن البحث اللغوي يتناول مستويات مختلفة متدرجا من المستوى الصوتي إلى الصرفي فالتركيبي المعجمي والدلالي، فإن العدول يمكن أن يتناول تلك المستويات ذاتها على أشكال مختلفة وتجاوزات متفاوتة وإن كان المستوى الأخير أكثرها تعقدا وقابلية للخروج عن النظام الكلي الذي تفرضه اللغة إلى النظام الجزئي الذي ينتجه الكلام، وكما يرى سعد مصلوح الذي بين أنواع المتغيرات الأسلوبية داخل أسلوبيات المقام محددا التشكيل الأسلوبي بأنه عملية مركبة تتم في نسيج متشابك معقد على جميع المستويات الصوتية والتركيبية والمعجمية في آن معا ،" تحتل المتغيرات الدلالية قمة القابلية للتشكيل تليها المتغيرات الصرفية والتركيبية، أما المتغيرات الصوتية فهي أكثرها خضوعا لنظام اللغة"[2]، فالعدول لغة الحياة اليومية قد يتوفر في كلام العامة والخاصة، يلجأ إليه المتكلم بصفة عفوية أو اختيارية قصدية.

1-1 مصطلح العدول عند القدامى:

عُرف العدول في اللغة العربية منذ عصر الإحتجاج اللغوي، فقد تطرق إليه العلماء العرب في العصر الجاهلي لفهم المقاصد الشعرية خاصة، إذ يصح للشاعر ما لا يصح للناثر، وعرف العدول في العصر الإسلامي لوقوعه في لغة القرآن الكريم. والملاحظ على تناول القدماء لهذا المصطلح أنه موجود في معظم الكتب، النحوية أو الفقهية أو كتب الأصول، بتسميات مختلفة منها: العدول والانزياح والانحراف والخرق والخروج عن سنن اللغة، والمجاز، والالتفات....ولكن هل هناك فروق بين هذه المصطلحات أم أنها تدل كلها على مفهوم واحد ؟

---

[1] – ينظر: عهود عبد الواحد، الصور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية، ط1، عمان: 1999، دار الفكر، الفصل الثالث.

[2] – سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط3، القاهرة، 1992، عالم الكتب، ص56 .

وهذا التعدد للمصطلحات الدالة على مفهوم العدول عند القدماء يحيلنا إلى إشكالية تعدد المصطلح العلمي الذي يُعقد الدرس النحوي " وفي تراثنا النقدي يدور العدول حول عدة مدلولات: العدول عن طريقة السابقين والعدول عن الحقيقة إلى المجاز والعدول عن الصور القريبة إلى الصور الغامضة والعدول عن الأبنية والصيغ". وأما هذا التعدد فيرجع إلى سببين على الأرجح:

الأول: اختلاف مجالات المتناولين لها من مفسرين ونحاة وبلاغيين، فلكل فريق من هؤلاء مصطلحاته الخاصة به، والتي قد تكون في كثير من الأحيان ذات دلالة واحدة، فلا يستبعد مثلا أن يطلق النحاة على العدول مصطلح (نقض العادة) بينما يسميها البلاغيون (المجاز)و (الالتفات) و(شجاعة العربية) في حين يسميها فقهاء اللغة (سنن العربية) و (أسرار العربية).

والثاني: تعقد مسائل هذه الظاهرة وتشبعها، ولقد كان القدماء يستخدمون هذه المصطلحات المعبرة عن ظاهرة العدول في كل خروج عن النمط المعروف للغة، فمصطلح العدول إذن واسع الدلالة يمتد ليشمل مستويات اللغة كلها، لأن العدول قد يكسر القواعد اللغوية الموضوعية، أو يخرج عن النمط المألوف للغة أو يبتكر صيغا وأساليب جديدة، أو يستبدل تعبيرات جديدة ليست شائعة وأساليب جديدة بأخرى قديمة أو يقيم نوعا من الترابط بين لفظين أو أكثر، أو يستخدم لفظا في غير ما وضع له[1]. فاختلفت مستويات العدول لتتراوح بين اللغوية والنحوية والبلاغية والأسلوبية انطلاقا من معايير مختلفة ومصطلحات تخص كل فريق إن لم نقل كل عالم، إلا أن تعدد المصطلح لم يمنع القدماء من استعمال هذا المفهوم في عدة مقامات بمعنى الانصراف أو الميل عن المألوف من قواعد اللغة وأقيستها، عدولا سواء كان ذلك في باب المطابقة، كما هو الأمر في الحال أو في علامات الإعراب والبناء أو في غيرها من مستويات اللغة.

[1] – عبد الحميد يوسف هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، د ط، بيروت: 2002، المكتبة العصرية، ص 141، 143، 162.

ومن الذين وظفوا هذا المصطلح في أكثر من موضع القاضي أبو بكر الباقلاني (ت 403هـ) إذ يقول: " أما المبالغة فهي الدلالة على كثرة المعنى وذلك على وجوه: منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك كقولك: رحمن عدل عن راحم، للمبالغة...."[1] وهو من العدول على المستوى الإفرادي للغة يدخل على صيغ الكلمات وأوزانها الصرفية وإن كان غير خارج عن المألوف من قواعد الصرف.

واستعمل عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) مصطلح العدول في وصف الكلام الأدبي إلى جانب القول الشعري العادي واللحن، وغيرهما، يقول: " وأعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين قسم تعزي المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزي ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأول، للكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع و **عدول باللفظ** عن الظاهر، فما ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذ وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية..."[2] وهو ما يدل على ترك طريقة في القول إلى طريقة أخرى لأنها أحسن ولمعنى زائد سببه حاجيات في التعبير يقصر التعبير الحقيقي على تأديتها.

يتضح لنا أن مصطلح العدول متداول في الدراسات التراثية اللغوية عند العرب على اختلاف هذه الدراسات فهو ليس مصطلحا نحويا محضا، أو بلاغيا صرفا، فقد استخدم في كثير من العلوم والفنون، ولذلك نظير في مجال المصطلح كاستخدام مصطلح (القياس) في الفلسفة، وأصول الفقه وأصول النحو وغيرها، ورغم ما يحمله مفهوم نقض العادة والخروج عن السنن والأعراف، سواء تمثل ذلك في المستوى الصوتي للغة أو في المستوى الإفرادي أو في المستوى الدلالي للمفهوم نفسه إلا أن هذه المفاهيم تدور كلها في المستوى التركيبي أو في المستوى الدلالي.

---

[1] – أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن الكريم، تح: أبو بكر عبد الرزاق، د ط، مصر: 1994، مكتبة مصر، ص 190.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود شاكر، د ط، القاهرة: 1984، مكتبة اليازجي، ص 429، 430.

1-2- مفهوم العدول عند المحدثين:

تعاني اللغة العربية اليوم مشكلة المصطلح العلمي رغم المجهودات الكبيرة لتوحيده فعدم استقرار مفهوم العدول على تسمية واحدة يؤكد ظاهرة الانفلات والتشتت التي يعانيها المصطلح بشكل عام، خاصة وأن القدماء قد شاع و اتسع هذا المصطلح عندهم " وتتخذ صورة فوضى المصطلح النقدي العربي وقلقه أشكالا متعددة ومن أمثلتها تعدد المصطلح في كتابات الناقد المختلفة ويتجلى هذا الأمر عند كمال أبي ديب الذي سماه مرة الانحراف وأخرى الانزياح، وتتخذ صورة عدم الطمأنينة في استخدام المصطلح شكلا أخر، إذ يعمد الناقد إلى التدليل على الظاهرة نفسها بأكثر من كلمة، فقد يستخدم بعضهم كلمتين متلازمتين وذلك من مثل (الانزياح لعدول) أو (العدول والانزياح)أو (الانحراف و الازورار) أو(الشذوذ والانحراف) أو (الخروج والانحراف) أو (تنحرف وتنزاح)"[1] فكان هذا تعدد المصطلح عند مؤلف واحد وفي مرجع واحد وما بالك إذا نظرنا إلى اللسانيين والأسلوبيين والبلاغيين كل على حدا.

يطلق اللسانيون المحدثون على هذا المفهوم تسميات كثيرة قال المسدي " هذا العدول قد عبر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة منها: الانحراف، والانزياح والانحلال والانتهاك والتجاوز والمخالفة، واللحن، وخرق السنين، والشناعة، والإطاحة، والتحريف....إلخ[2]. ورغم هذا التضارب في الأسماء والمصطلحات إلا أن المسمى والمفهوم يبقى واحدا وإن عبرّ عنه بعبارات مختلفة، فكل هذه المصطلحات تنصب في مفهوم واحد يتمثل في انتهاك وكسر الناطق أو الكاتب لأعراف الكلام الذي يستخدمه مع تحقيق الفائدة أو ما يحسن السكون عنه.

1-3- مفهوم العدول عند النحويين والبلاغيين:

سبق أن سوى اللغويون بين العدل والعدول في المعنى حيث كلاهما مصدر للفعل عدل و إذا كان الأمر كذلك على إطلاقه فإننا نرى أبا بكر محمد بن السهل، ابن سراج النحوي (ت 316 هـ) في أصوله يشرح معنى العدل فيقول: " العدل هو أن يشتق من الاسم

[1] – موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط 1، الأردن: 2003، دار الكندي، ص 46.

[2] – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب/ د ط، تونس: 1977، الدار العربية، ص 94.

النكرة الشائع اسم ويغير بناؤه إما لإزالة معنى إلى معنى وإما لأن يسمى به، فأما الذي عدل لإزالة معنى إلى معنى "فمثنى" و "ثلاث" و "رباع" و "آحاد فهذا عدل لفظه ومعناه، عدل عن معنى اثنين إلى معنى اثنين اثنين وعن لفظ مثنى...[1].

وسيبويه يذكر أنه لم ينصرف لأنه معدول وأنه صفة ولو قال قائل: "إنه لم ينصرف لأنه عدل في اللفظ والمعنى جميعا " وجعل ذلك لكان قولا: " فأما ما عدل في حال التعريف فنحو عمر وزفر وقثم، عدلن عن عامر وزافر وقاثم"[2] وقال سيبويه في الكتاب بعد أن عرض للصفات التي تصرف رغم مجيئها " فعل " حيث لم تكن اسما يشبه الفعل الذي في أوله زيادة وليس في آخره زيادة التأنيب وليس بفعل لا نظير له في الأسمال ثم قال: " و أما عمر وزفر فإنما منعهم من صرفهما و أشباههما أنهما ليسا كشيء مما ذكرنا و إنما هما محدودان عن البناء الذي هو أولى بهما وهو بناؤهما في الأصل فلما خالفا بناءهما في الأصل تركوا صرفهما وذلك نحو عامر وزافر ".

ولا يجيء عمر و أشباهه محدودا عن البناء الذي هو أولى به إلا في ذلك البناء معرفة و زحل معدولاً في حالة ما إذا أردت اسم الكوكب فلا ينصرف.

وقال سيبويه: " وسألته عن جمع وكتع فقال: هما معرفة بمنزلة كلهم، وهما معدولتان عن جمع جمعاء، وجمع كتعاء وهما منصرفان في النكرة"[3].

وهنا نرى سيبويه يعبر عن المعدول تارة بالمحدود أي الممنوع من بنائه الأصلي المعروف عنه وتارة بالمعدول وكلاهما بمعنى. ويعرف الشيخ أبو علي الفارسي العدل بقوله : " معنى العدل أن تريد لفظا فتعدل عن اللفظ الذي تريد إلى آخر و موضع النقل فيه أن المسموع بلفظ به المراد به غيره ويستوي العدل في المعرفة والنكرة لاستوائهما فيما ذكرت ولا يكون العدل في المعنى، فأما العدول في النكرة فنحو مثنى وثلاث ورباع فالمانع له من

---

[1] – سيبويه: إمام النحاة، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبرت (ت 180 هـ)

[2] – أبو بكر ابن السراج النحوي: الأصول في النحو، تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي،ط1: مؤسسة الرسالة، بيروت 1988، ج2، ص 88.

[3] – سيبويه: الكتب، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2، بولاق، بيروت، 1983،ج2، ص17.

الصرف العدل والصفة والمعدول عن المعرفة نحو عمر وزفر عدلا عن عامر وزافر المعرفتين ألا ترى أن ذلك في أصول النكرات"[1].

ويقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني شرحه لكلام أبي علي الفارسي: "أعلم أن العدل أن تذكر لفظا وتريد غيره نحو أن تقول عمر والمقصود عامر وهذا هو عين الدلالة على شيئين وليس للأسماء أصل في الدلالة على أكثر من شيء واحد وإنما ذلك لأنه يدل على معنى وزمان فإذا قلت ضرب زيد دل على ضرب وزمان ماض كما دل على عمر المسمى وعلى عامر الذي هو الأصل، وإذا كان كذلك كان خروجا عن حكم الأصول. وإذا خرج عن حكمها بالعدل علمت أنه فرعية وليس يغني الشيخ أبو علي بالنقل نقل لفظ وإنما يقصد في هذا الباب العدول عن الأصل والخروج عن الأولية"[2].

ومما تقدم يتضح أن العدل والعدول عند الفارسي والجرجاني بمعنى واحد و هو العجول عن الصيغة الأصلية إلى صيغة مستحدثة فرعية وهذه الصيغة يراد بها الأصل المعدول عنه فعمر يراد بها عامر وعليه فالتغيير يكون في الصيغة دون المعنى. ولذا يقوم الإمام السكاكي في تعريفه:"هو تغيير الصيغة بدون تغيير معناها كتغيير نحو عامر وحاذمة في الإعلام و واحد واحد إلى عشرة عشرة في غيرها إلى عمر وحذام و إلى موحد و آحاد إلى معشر وعشار"[3].

و إنما عدلت العرب عن عامر إلى عمر وغيره ممن كان على شاكلته في المعارف وعدلت عن اثنين اثنين إلى ثناء ومثنى وما كان على شاكلته في النكرات وذلك قصدا إلى التخفيف.

ويقول الخضري في تعريف العدل :" هو تحويل الاسم من حالة إلى أخرى مع بقاء المعنى الأصلي بغير قلب أو تخفيف أو إلحاق أو معنى زائد فخرج من العدول نحو ايس مقلوب يئس، وفخذ سكون مخفف مكسور، وكوثر بزيادة الواو في كثر لإلحاقه بجعفر، ورجيل

---

[1] – ينظر: أبو علي الفارسي: الحسن إبن أحمد إبن عبد الغفار الفارسي الأصل (ت 377 هـ).

[2] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر إبن عبد الرحمان ابن محمد (ت 471 هـ)

[3] – عبد القاهر الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق د/ كاظم، ط1، دار الرشيد، 1982، ص 1007.

مصغر رجل لزيادة معنى التحقير فليست معدولة عنها، و العدل ضربان أحدهما في المعارف وله في المذكر فعل معدول عن فاعل كعمر في المؤنث فعال عن فاعله كخذام، والثاني في الصفات و هو إما في العدد وله صيغتان هما فعال و مفعل كآحاد و موحد أو في غيره وفائدته أما التخفيف في اللفظ باختصاره كما في مثنى أو تخفيفه مع تمحضه للعامية كما في عمر وزفر عن عامر وزافر لاحتمالهما قبله للوصفة ثم هو تحقيق إن دل على غيره منع من الصرف بحيث لو سمع مصروفا لعلم كونه معدول لما سيأتي في مثنى و آخر تقديري أن لم يدل عليه غيره وهذا خاص بالأعلام كما سيبين في عمر ونحوه"[1].

وقيل العدل على أربعة أوجه:

1-عدل في الأعداد نحو أحاد ومثنى وثلاث.

2-عدل في الأعلام نحو عمر.

3-عدل من اللام نحو سحر.

4-عدل من الأم حكمها نحو آخر.

وهذا الآن آ'خر في الأصل افعل التفضيل ورجا آخر معناه أشد تأخر في الذكر هذا أصله ثم يجري مجرى غير[2].

وقال ابن سيده:" أعلم أن أحاد وثناء قد عدل لفظه ومعناه وذلك أنك إذا قلت مررت بواحد أو اثنين أو ثلاثة فإنك تريد تلك العدة بعينها لا أكثر ولا أقل فإذا قلت جاءني قوم أحاد وثناء وثلاث فإنما تريد أنهم جاءوني واحدًا واحدًا أو اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة وإن كانوا ألوف، ألوف"[3]

2- التمييز بين هذه المصطلحات:

هناك من العلماء من نفى ظاهرة الترادف من اللغة فكل ما يوحى ظاهره بالترادف، تمكن فيه فروق دقيقة تجعله من المتباين، فهل في مفهوم العدول ترادف في المصطلحات

---

[1] – السكاكي: مفتاح العلوم، ط1، المطبعة اليمنية، مصر 1356 هـ، ص 36.

[2] – الخضري: الحاشية على شرح ابن عقيل، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1340، ص99.

[3] – السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ط1، المكتبة العصرية 1999، ج 2، ص 31.

التي تدل عليه أم هناك فروقا دقيقة تخص كل مصطلح بمجال من مجالات العدول الشائعة، أم أنها تعبر عن مرحلة من مراحل البحث في هذه الظاهرة، حيث لم يتوصل الباحثون إلى ضبط هذا المفهوم بمصطلح واحد، كما هو حال كثير من المفاهيم في بداية ظهورها، على أن يتم تجاوز ذلك بمرور الزمن وتطور الأبحاث.

2-1- بين العدول والانحراف:

تدل مادة (حرف) في لسان العرب على الميل. وفي حديث ابن مسعود: موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيُحارَفُ بها عند الموت أي يُشددُ عليه لتمحص ذنوبه[1]. فالانحراف أيضا يحمل معنى الخروج عن المألوف. إن ارتباط مصطلح الانحراف في الدراسات الأسلوبية الحديثة بالعدول، أكثر من ارتباطه بالمصطلحات الأخرى التي قد تدل على نفس المفهوم"...فلقد أدى إصرار كثير من الأسلوبين على تضمن تعريفاتهم للأسلوب بأنه(انحراف)عن قاعدة ما إلى اعتبار علم الأسلوب(علم الانحراف)بالمعنى السلبي للمصطلح. إن عدم القدرة على تحديد القاعدة يجعل معرفتها أمرا مستحيلا وبالتالي لا يمكن قياس درجة الانحراف المزعومة الموجودة في الأسلوب"[2]. مما يعني أن الدراسات الأسلوبية تبقى على العلاقة القائمة بين النظام الذي تمثله المقاييس اللغوية والاستعمال الفردي، أو على القواعد الكلية الشاملة التي تضبط كل أشكال القواعد الجزئية المتحققة في النصوص الفردية التي تخلق ظاهرة الانحراف لتعطي دلالات متباينة يتبادلها المرسل والمتلقي. والحق أن الأسلوبين لم يتفقوا على هذا اتفاقا تاما لذلك وجدناهم يستعملون مصطلح العدول في المقام نفسه الذي يستعملون في مصطلح الانحراف" ونؤكد هنا أنه من العسير أن يحدث التقاء بين البحث اللغوي والبحث الأسلوبي إلا حين يبقى كل منهما على الصلة الوثيقة بين النظام اللغوي(الكفاءة) والظاهرة الكلامية(الأداء) وكذلك حين يعني البحث الأسلوبي بأشكال الانحراف أو عدول الدلالة التي ترمي إلى تشكيل نظام فردي خاص، ولكنه لا ينعزل عن النموذج المثالي،بصنعه صياغات تتسم بالشطط والفوضى،فتخلق عوالم غامضة مبهمة

[1] – ابن منظور، لسان العرب، د ط، بيروت: 1990، مادة حرف.

[2] – سعيد حسين بحيري، دراسات لغوية تطبيقية، د ط، القاهرة: د ت، مكتبة زهراء الشرق، ص 46.

تستعصي على الفهم والتفسير وتتأبى على أن يحدها أي شكل من أشكال التعقيد،ويعد الفرض القائل بأنه مادام كل منهما يحافظ على القاسم المشترك بينهما وهو النص،فإن تحديد السمات الأسلوبية (اللغوية) في صورة انحرافات أو في هيئة تواترات يستلزم الإبقاء على الصلات الجوهرية بينهما التي تمكن اللغوي أو الأسلوبي من تقديم تحليلات دقيقة وتفسيرات مقبولة لوظيفتها"[1].فالانحراف يميز الأسلوب الفردي على النسق العام الثابت، وذلك لما للانحراف من تأثير وجذب للمتلقي ولهذا عرَّف الأسلوب على أنه انحراف عن نظام اللغة ومعاييرها. ويبدو أن مصطلح الانحراف قد شاع وانتشر بين الباحثين المعاصرين عامة والأسلوبين منهم خاصة، من خلال الترجمات والإطلاع على الدراسات النقدية الغربية الحديثة: ".... إذ إن هذا المصطلح قد عُرف بالفرنسية بأنه (Ecart) وبالانكليزية (Déviation) وبالألمانية (Abweichung) وقد اختلفت تسميات هذا المصطلح في النقد العربي وذلك باختلاف النقاد الذي تعاملوا معه..."[2]. فظهور هذا المصطلح عند الغرب وترجمته الفورية دون الرجوع إلى التراث العربي القديم جعل هذا المصطلح يشيع وينافس المصطلح الأصيل المستعمل من طرف السلف وهو مصطلح "العدول" .

2-2- بين العدول والانزياح:

يعرف الانزياح لغة على انه ابتعاد عن الشيء، ورد في لسان العرب: " نزوح الشيء ينزحا نزوحا، بعد"[3]. وفي كتاب العين نزح :" نزحت الدارُ تنزحُ نزوحا أي بَعُدت، ووصَل نازح أي بعيد، قال: أم نازح الوصل مخلافٌ لشيمته"[4]. وهذا يعني أنه يحمل معنى عدل وحرف. والانزياح من المصطلحات المتداولة التي تطلق للدلالة على العدول عن النمط العادي للغة رغم ما تحمله من نشوز كلي عن الأصل الذي عدل عنه الشيء، " والملاحظ في الأسلوب القرآني أن فيه سعيا متكررا مقصودا إلى الانزياح عن قانون المطابقة انزياحا يلفت فنيا نظر

---

[1] – المرجع نفسه، ص 48.

[2] – موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص 44.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، مادة نزحَ.

[4] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، د ط، العراق: 1981، مادة نزحَ

المتلقي ويلفت تأويليا واعجازيا نظر المفسر"[1]أي أن هذا المصطلح في اللغة العربية لا يمكن أن يشمل كل النصوص فإن جاز لنا إطلاقه على النص الشعري أو الأدبي،فإنه لا يليق بالنصوص المقدسة،إلا أن تحفظ بعض الأسلوبين على هذه الترجمة الحرفية لمصطلح (L'ecart) أدى إلى إيثار إحياء المصطلح العربي القديم " العدول" لأنه الأحسن من الناحية العلمية، إذ يسمح بتوحيد المصطلح لإمكانية إطلاقه على النص القرآني في بعض قراءاته والناحية العملية، إذ يلغي تلك الجهود المبعثرة والأوقات المهدرة في ترجمة المصطلح السابق مع عدم الوصول إلى مقابل واحد، مما يؤدي إلى تضخيم المعجم[2].

وإذا ما قارنا بين المصطلحات الثلاثة (الانحراف، الانزياح، العدول) نجد أن للانحراف آثارا سلبية، فهو مصطلح يصف السلوك والمنهج والطريقة، فهو يخص ميدان الدراسات النفسية ونقله إلى الدراسات الأدبية جعل الأدباء لا يتعاملون معه كثيرا على الرغم من شيوعه في الدراسات النقدية الحديثة. إن هذا البعد السلبي الذي يعكس مصطلح الانحراف هو الذي دفع بعض الباحثين للتفتيش عن مصطلحات أخرى تدل على ظاهرة الخروج عن المألوف فقد وصفت مثل هذه الظاهرة بالانزياح، ولم يكن مصطلح الانزياح إلا شكلا من أشكال التخلص من مصطلح الانحراف، ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل تعددت الأسماء بشكل كبير وإن كانت في معظمها تشير إلى وصف ظاهرة واحدة. وما يهمنا من هذه المقارنة هو إمكانية النظر إلى كل هذه المصطلحات الحاملة لشحنة موحدة بمنظار مصطلح واحد يحدها جميعا وهو " العدول" .

2-3- بين العدول واللحن:

تكاد تتفق معاجم اللغة والغريب على أن مادة (لحن) ترجع إلى المعاني الستة التي ذكرها ابن بري وغيره وهي: الخطأ في اللغة والإعراب والغناء واللغة والفطنة والتعريض والمعنى الذي يخدمنا في هذا المقام من بين هذه المعاني الستة هو المعنى الأول، وهو اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب، وصرف الكلام عن سننه والعدول عن وجه الصواب فيه، ولفت

[1] – عبد الحميد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، ص 141.

[2] – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 162، 163.

ظهور هذا المصطلح أكثر"... بعد انتشار العرب خارج منازلهم ودخول غير العرب في الإسلام، بدأ اللحن يفشو في نطق القرآن وفي كلام العرب... فأداهم ذلك إلى تحديد القبائل الفصيحة،وإلى تحديد الزمان والمكان، وتم استبعاد الكثير من اللهجات العربية بغية التحكم في آليات المنهج، وصولا إلى اللغة المصفاة، ولقب ذلك بالاحتجاج اللغوي، وكان ذلك معيارا لتقدير عروبة اللفظ بثبوته في كلام العرب الأولين، ومن يوثق بفصاحته"[1] فكان الاهتمام بهذه الظاهرة بهدف تعليم الفصحى والابتعاد عن التأثيرات العامة في الاستخدام اللغوي. والملاحظ أن من استعمالات مصطلح اللحن ما يحمل مفهوم الخطأ، وهو الخروج الكلي عن قواعد اللغة لذلك ظهرت الدراسات النحوية كدرع لوقاية مستعمل العربية من اللحن بأشكاله المختلفة[2]. وبهذا يتبين أن اللحن ليس مقصورا على إجراء العلامات الإعرابية وإنما يتسع مفهومه ليشمل الأصوات والوحدات المعجمية والتصريف والتركيب، واعتبر خطأ يجب تصحيحه والعدول عنه.

3- الفروق الجوهرية بين العدل والعدول:

3-1- وجوه الاتفاق:

العدل والعدول يتفقان في صرف الصيغة الأصلية عن أصلها إلى الفرعية و بعبارة أخرى صرف الكلام عن وجهه والميل به عن أصله الذي كان ينبغي أن يكون ذلك أنهم شبهوا صرف الكلام عن وجهه الذي كان له بفعل العرب حين يقتل الرجل فالأصل فيه القاتل أخذا بدمه فإذا عدلوا عنه إلى الدية سموا ذلك صرفا فهذه الدية سميت صرفا لأن الشيء يقوم بغير صفته ويعدل بما كان في صفته ثم جعل الصرف في كل شيء حتى صار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الشيء الذي يجب عليه، ومنه قولهم صرف الحديث في الحديث إدريس الخولاني:" من طلب صرف الحديث يبغي به إقبال وجوه الناس إليه لم يرح رائحة الجنة".

---

[1] – صالح بلعيد، في أصول النحو، دط، الجزائر: 2005، دار هومه، ص 94،95.

[2] – ينظر: الجاحظ، البيان والتبين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، القاهرة: 1968، مكتبة اليازجي، ج2، ص 210، 212، 215.

قال ابن الأثير: " أراد بصرف الحديث ما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه على قدر الحاجة وإنما كره ذلك لما يدخله من الرياء والتصنع ولما يخالطه من الكذب و التزيد وقولهم صرف الكلام أي تفضيل أي بعضه على بعض يقال: فلان لا يعرف صرف الكلام أي فضل بعضه على بعض لأنه إذا فضل صرف عن إشكاله ويقال: صرف وجهه يصرفه صرفا أي رده ومنه قوله تعالى: " صرف الله قلوبهم" (التوبة 127)، أي أضلهم الله مجازاة على فعلهم ومنه أيضا:"وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ"(البقرة 164)، أي تحويلها عن وجه إلى وجه ومن حال إلى حال ومنه:العدل والعدول كلاهما مصدر لعدل مثل قسطت وقسطا وقسوط.كل منهما ترتكبه العرب قصد إلى التوسع في لغتهم كالحذف والزيادة [1].

قال ابن جني : " العدل ضرب من التصرف وفيه إخراج للأصل عن بابه إلى فرع"[2].

3-2- وجوه الاختلاف:

تخصيص أهل الاصطلاح العدل بمنع الصرف سواء كان في المعارف كعمر المعدول عن عامرا وفي النكرات كمثنى المعدول عن اثنين اثنين كما قال ابن مالك[3]:

ومنع عدلٍ مع وصفٍ معتبر*** في لفظ مثنى وثلاث وأخر

والعلم امنع صرفه إن عدلا*** كفعل التوكيد أو كفعلا

والعدل والتعريف مانعاً سحر*** إذا به التعيين قصداً يُعتبر

ابن على الكسر فعال علما*** مؤنّثاً وهو نظير جشما

والعدول يشمل ما تقدم وغيره كتليين همزة المعدول به عن تحقيقها وتقديم بعض حرف الكلمة كما في القلب المكاني... مثل قول ابن مالك[4]:

والأصل في الفاعل أن يتصلا*** والأصل في المفعول أن ينفصلا

وقد جاء بخلاف الأصل *** وقد يجيء المفعول قبل الفعل.

---

[1] – ابن سيده: المخصص، ط1، بولاق، بيروت، ج1، ص 120.

[2] – ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، ج2، ص 52.

[3] – ينظر: ابن مالك: الألفية، ط1، دار القلم، بيروت، 1984م، (باب ما لا ينصرف)

[4] – ينظر: ابن مالك، المرجع نفسه ،(باب الفاعل).

ويفهم من كلام ابن مالك: " وقد جاء بخلاف الأصل" أنه إذا تقدم المفعول عن الفاعل في نحو" ضرب زيدا عمر" وتقدم على الفعل والفاعل في نحو " زيدا ضرب عمر" هذا ونحوه يسمى عدولا وليس عدلا في الإصلاح.

وكقول النحاة " الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة لأنه محكوم عليه ولا يجوز أن يكون نكرة إذ لا يتأتى إصدار الحكم على المجهول فإذا ورد الكلام المبتدأ نكرة و ليس مسوغ فذلك يكون عدولا وليس عدلا "، وكذلك يكون العدول بتقديم ما حقه التأخير أو العكس كما في المبتدأ والخبر فالأصل أن يتقدم المبتدأ أو إذا جاء الكلام علا خلاف ذلك كان عدولا وليس عدلا.

وإذا رجعنا إلى ما سموه عدلا وما جعلوه عدولا يتبين أن العدل لا يتجاوز المفردات مثل عمر الذي عدل عنه إلى عامر وإن العدول يكون في المفردات والكلام معا ومن ذلك **قوله تعالى** :" **المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**" (البقرة 229).إن الكلام لفظه خبر ومعناه إنشاء وإنما عدلوا على الإنشاء إلى الخبر ليكون الخبر أبلغ من الإنشاء فكأن هذا الأمر موجود قبل الإخبار وعليهن أن يتمثله فهذا عدولا وليس عدلا.

4- مفهوم التعادل:

يطلق التعادل على التساوي بين الشيئين ومنه قولهم تعادل الفريقان أي تساوى ومراد البحث به التوازن بين انواع مفردات اللغة ويتضح ذلك في المسائل التالية:

الأولى: تنوين الاسم المتمكن لخفته نحو "**محمد رسول الله**" (الفتح 29) ومنع الفعل منه وما شابهه من الأسماء لثقلها أما الفعل فواضح و أما ما شابهه من الأسماء والصفات فمنع كذلك وينحصر منع الصرف فيها منع من الصرف لسببين او لسبب واحد وذلك للتعادل.

الثانية: رفع الفاعل نحو تعالى ربنا ونصب المفعول نحو أكرمت محمد للتعادل وذلك لأن الفاعل قليل والمفعول كثيرا فأعطوا القليل الثقيل وهو الرفع وأعطوا الكثير الخفيف وهو النصب قال ابن النحاس :" إنما رفع الفاعل ونصب المفعول لقلة الفاعل لكونه لا يكون إلا

لفظا واحدا وكثرة المفعول لكونه متعدد والرفع أثقل من النصب فأعطى الثقيل للواحد والنصب للمتعدد وليتعادلا.

الثالثة: كسر نون الثقيلة **كقوله تعالى** : ".... **قال رجلان**" (المائدة 23)، وفتح نون الجمع نحو **قوله تعالى** :"... **قد أفح المؤمنون**" (المؤمنون 01)، قال ابن فلاح " كسرت نون التثنية وفتحت نون الجمع لأن التثنية أخف من الجمع والكسرة أثقل من الفتحة فخص الأثقل بالأخف والأخف بالأثقل للتعادل" .

الرابعة: حذف التاء من لفظ عدد المؤنث وإلحاقها بلفظ عدد المذكر في **قوله تعالى:**"... **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ**" **(الحاقة 07)**، قال بعضهم إن التاء إنما لحقت عدد المذكر وسقطت من عدد المؤنث لأن المؤنث ثقيل فناسبه حذفها للتخفيف والمذكر خفيف فناسبه دخولها ليعتدلا.

الخامسة: قولهم في النسب إلى نحو حنيفة حنفي بحذف التاء والياء من فعيلة و قولهم في نحو تميم تميم دون حذف وذلك للتعادل قال السخاوي: " باب فعيلة يحذف منه الياء والتاء والنسب نحو حنيفة حنفي وباب فعيل لا يحذف منه الياء نحو تميم تميمي لأن المؤنث ثقيل فناسب الحذف منه تخفيفا بخلاف المذكر" .

السادسة: فتحهم حرف المضارعة من المضارع الثلاثي وضمها من مضارع الرباعي في نحو يكرم محمد ويكرم محمد أباه وذلك للتعادل ورفع اللبس قال ابن فلاح: " إنما خص الضم بمضارع الرباعي والفتح بمضارع الثلاثي لأن الرباعي أقل والضم أثقل فجعا الأثقل للأقل و الأخف للأكثر للتعادل" .

السابعة: تخصيصهم التاء الساكنة بالفعل المتحركة بالاسم نحو **قوله تعالى:** "...**إذ قالت امرأة عمران**" (آل عمران 35). و" ذلك لثقل الفعل وخفة الاسم والسكون أخف من الحركة فأعطى الأخف للأثقل والأثقل للأخف تعادلا بينهما"[1].

5- المعادلة:

[1] – السيوطي: الأشباه والنظائر، ط2، دار المعارف العثمانية، 1359 هـ، ج1، ص 127، 128.

هناك في اللغة ما يسمى بالمعادلة أي المساواة وذلك مختص بأم في واحد من استعمالاتها في الأساليب العربية وتسمى في هذه الحالة"أم المتصلة" ويقع ذلك في نوعين:

أحدهما: إن تتقدم عليها همزة التسوية نحو **قوله تعالى:**"... **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**" (المنافقون 06)، والآخر أن تتقدم همزة يطلب بها و بأم التعيين نحو :" أزيد في الدار أم عمر" . و إنما سميت في النوعين متصلة لأن ما فيها وما بعدها لا يستغني بأحدهما عن الآخر وتسمى أيضا المعادلة لمعادلتها للهمزة في أفادت التسوية والاستفهام في النوع الثاني[1]، أي كلا منهما صارتا كالعدل الذي هو أحد شقي الحمل[2].

وذلك لأن أم في القسم الأول تدخل الجملة الثانية المعادلة للجملة الأولى في أفادت التسوية وهذه الجملة الثانية هي التي تفيد المعادلة في التسوية أي أن الكلام مشتمل على جملتين متعادلتين من ناحية المراد من كل واحدة كأنهما كفتان متساويتان في الميزان الواح لا ترجح احداهما الأخرى وقال ابن الشجري في المعادة :" كقولك زيد عندك أم بكر معناه أيهما عندك جعلت الهمزة مع أحد الاسمين المسؤول عنها وجعلت أم مع الآخر فهذا هو المعادلة"[3]

6- معيار العدول:

اختلف النحويون والأسلوبيون حول النمط أو المعيار الذي يتم العدول عنه، فيعرف المعيار على أنه النظام اللغوي الذي ينبغي على المتكلم اتباعه ليحقق أداء لغويا فصيحا واعتمادا على هذا المعيار تحدد درجة الفصاحة عند كل فرد، فتقع المقابلة هنا بين ظاهر الاستعمال اللغوي الفردي أو الكلام وذلك النظام (المعيار) وهنا يظهر العدول بدرجات متفاوتة. لقد سبق أن قلنا إن للعدول مرادفات كثيرة، وكذلك القول بالنسبة للأصل الذي تم العدول عنه " فإن المعيار الذي يخرج عنه العدول قد سمى مسميات كثيرة أيضا، من مثل: الاستعمال الدارج والمألوف والشائع والوضع الجاري والدرجة الصفر والسنن اللغوية، وقد وجد لذلك مماثلات في البلاغة والنقد عن العرب من مثل أصل اللغة وأصل الوضع والحقيقة

---

[1] – ابن هشام، معنى اللبيب، ط1، دار أحياء الكتب العربية الكبرى، ج1، ص 39، 40.

[2] – ابن هشام: حاشية الأمير على معنى اللبيب، ط1، دار الكتب العربية الكبرى، 1331 هـ.

[3] – الشجري: الأمالي الشجرية، ط2، دائرة المعارف العثمانية، 1349 هـ، ج2، ص 333.

وغيرهما من المصطلحات"[1] فالمعيار ينشأ من استنطاق النصوص التي تمثل أعلى مستويات الفصاحة عند المجموعة اللغوية التي يراد ضبط لغتها وهو ما يسمى بعصر الفصاحة والاحتجاج اللغوي، للخروج بقواعد وقوانين من نمط معين من أنماط الصياغة اللغوية، فيجعل الاستعمال مذعنا لهذا المعيار بعد أن يكون قد اشتق منه.

وهذا ما يطرح اشكالية جديدة حسب ميشال ريفاتير (Micha RIFATERRE) تتمثل في "... تغير المعيار وعدم ثباته، لأن الاستعمال اللغوي في تطور مستمر، وكثيرا ما يحدث أن تتحول بعض الأساليب المجازية والصور البلاغية لكثرة تكرارها، إلى قوالب جاهزة واستعمالات متداولة على كل الألسنة، فتفقد بذلك قيمتها الأسلوبية وتصبح لا فرق بينها وبين الاستعمالات الأخرى فيصعب بذلك تحديد المعيار تحديدا دقيقا ونهائيا"[2]. فما كان يتخذ معيارا في الماضي يصبح خطأ في الوقت الحاضر وهذا ما تفطن إليه اللغويين وعلماء البلاغة الأوائل عندما أرادو تقنين اللغة وتفهم معاني القرآن الكريم وسر إعجازه، وتحديد مراتب الشعراء، ومقاييس التفاضل بينهم فقد أدركوا وجود مستويين في استعمال اللغة، مستوى مشترك بين الناس شائع في مخاطباتهم ومعاملاتهم يعرف بالمعيار أو الأصل يسمح لهم بقضاء حاجاتهم والتفاهم فيما بينهم، ومستوى ثان يتجاوز الانماط المتعارف عليها في التعبير ويتصرف في استعمال اللغة، فينتقي بعض معطياتها ويهمل البعض الآخر، وهو مستوى العدول أين يتم الإبداع وخرق الثابت "فالقاعدة أحيانا هي نظام اللغة... والقاعدة أحيانا هي قاعدة الاستخدام اللغوي... ويمكن تحديده اجتماعيا بحيث تصبح القاعدة الأسلوبية هي الإشارة الصالحة اجتماعيا للفروق المترادفة على مستوى معين من التطبيق، وقد يحدد المعيار، بناء على الاستعمال الشائع، من خلال الوسائل الإحصائية فقط فالمعيار في هذه الحالة إنما هو المتوسط الإحصائي لكل الوسائل لمجموع النصوص الموجودة...ويمكن تحديد

[1] – موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص35.

[2] – فريدة مولي، انزياح الخطاب الصوفي عند " النفري" المواقف والخطابات نموذجا: مذكرة الماجيستر في الأدب العربي، جامعة تيزي وزو: 2001، ص 106.

القاعدة...على انها(نموذج مثالي لغوي) حاضر أمام الجماعة اللغوي"[1] وهذا ما عبر عنه تشومسكي بالقدرة أو الكفاءة اللغوية. ففي الحالة الأولى يكون النظام النحوي واللغوي هو معيار العدول، أما في الحالة الثانية فالسياق نفسه هو القاعدة لقياس العدول وقد يكون هذا أقرب هذه الآراء جميعا إلى الصواب لأنه إذا لجأ المتكلم أو المؤلف إلى العدول، فذلك لغرض قد يكون جماليا في الشعر مثلا، أما في النثر والكلام العادي فغالبا ما يكون الغرض للتأثير في السامع أو القارئ فالمعيار هنا خارج النص، فهو المعيار، الذي يحدد العدول. هذا الأخير الذي تستلزم مجموعة من القواعد الصوتية والصرفية والنحوية المتواضع عليها لغرض الإبداع الفني وتحقيق التوصيل والإقناع والتأثير، فالعدول حينئذ شرط من شروط الإبداع والتفنن في الأساليب.

6-1- مستوى الصواب والخطأ:

يتم تحديد درجة عدول الكلام عن الأصل بإخضاعه لثنائية الصواب والخطأ.

1-الصواب: يعرف لغة بأنه "السداد والحق"[2] وانطلاقا من هذه المعنى المعجمي، اتخذ الصواب أداة لتحديد ما إذا كان كلام الفرد صحيحا ويتم ذلك بإخضاعه لقواعد اللغة إلا أن المستوي الصوابي لا يتصل باللغة فحسب. فكل سلوك لغوي لابد أن يراعي كلا من الوضوح الذي يسد الحاجة اللغوية أو المعنى الوظيفي والمطابقة التي تسد الحاجة الاجتماعية أو المعنى الاجتماعي لنتمثل المستوى الصوابي، أما إذا أريد بالنص اللغوي أن يكون أدبيا فيجب مراعاة عنصر ثالث هو عنصر الجمال الذي به يسد النص الحاجة الجمالية الفنية، فهناك فرق بين منتج الأدب وبين منج الكلام العادي، وبه يتضح الفرق بين الناقد الأدبي والباحث اللغوي، فالأول يبحث عن الجمال والثاني عن الصواب، ولهذا كان منهج أولهما ذاتيا، ومنهج ثانيهما موضوعيا، والأول يسجل انفعاله بالنص والثاني يسجل الظاهرة التي يحدها في هذا النص، ويمثل العرف الاجتماعي معيارا أثبت من العرف الفني وأكثر مقاومة للإبداع، فنجد لغة الكلام العادي تفرض على المتكلم قوالب وطوابع تعبيرية خاصة أكثر مما تفرضه اللغة

[1] – عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص 83، 84.

[2] – الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط 3، القاهرة: 1985، ج 2، مادو صوبَ.

العلمية أو الأدبية، فلغة العلم تسمح بوضع الاصطلاحات والتعبيرات التي تصل به إلى غرضه من الإفهام أو التأثير، لذا اختلف طابع المستوي الصوابي في لغة الكلام عنه في لغة العلم والأدب فالمستوى الصوابي للغة العلم فيه الانسجام المنطقي لا المنطق والصدق، ولكل لغة أو لهجة مستواها الصوابي الخاص بها[1]. ويمكن أن نميز بين نوعين الصواب، الأول ينظر إلى اللغة على أساس أنها نظام من القواعد تتحكم في الأداء الفردي والثاني يعين الصواب بالقياس إلى قيم فنية معينة "فالصواب النمطي: هو ما يوقف عند تحري قواعد اللغة، وتقويم اللسان... وأما الصواب الفني:فهو ما يظهر فيه ذلك التفاوت والاختلاف في الأساليب...وذلك لأن المعاني البلاغية أو الفنية في تصور البلاغيين هي مجموعة الإشعاعات والإيحاءات الدلالية الخاصة المتجسدة في صياغتها الفنية بأشكالها التعبيرية الخاصة"[2].فالمهم هو الصواب النمطي كونه هو الذي يحدد لنا اللغة الفصيحة المتحكمة للنظام اللغوي ثم مستوى الصواب الفني إذ قد يعدل النص عن سياق إلى آخر أو يحدث خرق لقاعدة لغوية قصد تحقيق إفادة أكبر.

2-الخطأ: تحمل مادة(خ،ط،ء) معنى أذنب وغلط(حاد عن الصواب) يقال:أخطأ فلان أذنب عمدا أو سهوا، وأخطأ الهدف ونحوه: لم يصبه وقولهم(أخطأ نوءُك) مثل يضرب لمن طلب حاجة فلم يقدر عليها[3]. فالخطأ هو الإخفاق التام في طلب شيء معين.

أما اصطلاحا فيختلف تعريف الخطأ باختلاف النظرة إليه من باحث إلى آخر، فقد يعني الخطأ العدول عما هو مقبول في اللغة حسب المقاييس التي يتبعها الناطقون، يقول ابن جني:"فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح يُسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ، ما وُجد طريق إلى تقبل ما يورده إذا كان القياس يعاضده، فإن لم يكن القياس مسوغا له، كرفع المفعول وجر الفاعل، ورفع المضاف إليه، فينبغي أن يرد. وذلك لأنه جاء مخالفا للقياس

[1] – تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية،ط 4، القاهرة: 2000، عالم الكتب، بتصرف.

[2] – عبد الحميد هنداوي، الإعجازي الصوتي في القرآن الكريم، ص 54.

[3] – الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج 2، مادة خطأ.

والسماع جميعا، فلم يبق له عصمه تضيفه، ولا مُسْكة تجمع شعاعه"[1]، فالخطأ لا يرادف العدول لأن العدول كما أشرنا سابقا يقع في الكلام الفصيح ومنه القرآن الكريم، إضافة إلى أن العدول سمة إبداعية مميزة لأسلوب كل فرد بعكس الخطأ الذي يجب أن يقوم ويصحح، رغم أن الخطأ شيء طبيعي للمتكلم، فقد يتفطن إليه فيصححه بنفسه كلما تقدم في التعليم، كما يمكن أن يصححه له غيره، وهذا ما جعل علماء اللغة يضعون النحو لضمان الأداء السليم للغة. قال ابن خلدون في مقدمته: " وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثن استمر ذلك الفساد بملامسة العجم ومخالطتهم حتى تأدي الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه سطحية لا تمس النسق اللغوي العميق"[2]. فهذا النوع من الأخطاء جائز إن لم نقل ضرورة في حالات زلات..."[3] مما يعني أن الخطأ قد ينتج عن عدم المعرفة الكلية لقواعد اللغة أو نقص فهم هذه القواعد، أو الخروج عن المألوف في استعمال اللغة.

6-2- النظرة الجديدة للأخطاء:

اختلفت نظرة المحدثين للخطأ، فبعد أن كان موضع إنكار واستهجان يجب تجنبه، أصبح موضوع دراسة وظاهرة يُهتم بها خاصة في التعليمات، إذ يقوم الدارسون بإحصائها ودراستها وتقويمها. "فإذا كان النحاة يرتكزون على مسألة الخطأ والصواب في التركيبات الكلامية فإن التوجه الأسلوبي يدور تفكيكا وتركيبا، على محاور الإنتاجية من أجل رصد حركة الجمال الفني القائم على تحريك مادة الشكل فوق مستويات الرقعة الأسلوبية، وإنضاجها مع ظاهرة الفصل والوصل وقدرتها التوزيعية لمقاطع النص"وهنا نلاحظ أن مقياس أو معيار الصواب والخطأ يخرج من النطاق النحوي إلى نطاق القيمة الجمالية. فيحكم على النص من خلال الصيغ الفنية التي تتجلى وتبرز في مختلف مستويات العدول.

---

[1] – ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط 3، لبنان: 1986، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 388، ج1.

[2] – المرجع نفسه، ص 147.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ط 1 ، لبنان: 1988، دار الكتاب اللبناني، 1059.

كما ينظر للخطأ على أنه ظاهرة مهمة وهذا ما عبر عنه بشلار(Bachlard) باعتباره"... ظاهرة بيداغوجية هامة لأنه ليس مجرد تعثر في الطريق بل إنه نقطة انطلاق المعرفة، وذلك لأن المعرفة لا تنطلق من الصفر بل تصطدم بمعرفة مستعملة موجودة من قبل"[1]. وهنا إشارة إلى أن الأخطاء التي تستحق الدراسة هي التي تتصف بصفة انتظامية إذ يلاحظ الباحث أنها تظهر بصفة مستمرة وعلى نحو منتظم.

وتتم عملية التخطئة والتصويب بطريقتين"... حيث تعتمد المجموعة الأولى إلى التنبيه والتذكير في حين تعتمد الثانية إلى الدلالة المباشرة على الخطأ، فتذكر الخطأ وتعقبه بالتصويب"[2]،وهذا بهدف ضبط الأساليب اللغوية التي قد يخطئ فيها المتكلم وفق معايير القدامى لأن المعيارية قامت على فكرة تقليدية صارت معروفة في المنهج اللغوي تمثلها العبارة الآتية: اللغة هي ما يجب أن يتكلمه الناس وليست ما يتكلمه الناس بالفعل، مما أدى إلى تقعيد الأساليب، والتنبيه إلى أحكام اللغة بصرامة جاعلا من قواعد اللغة مما جعل المعيارية تتصف بالتعصب للقديم واعتماد مقاييسه في ضبط الأساليب، فالأخطاء الجائزة هي الأخطاء الشائعة التي غالبا ما تقدرها المجامع اللغوية أما الأخطاء التي تمس الأصول فيجب مقاومتها والقضاء عليها،أما الأخطاء الناتجة عن الانفعال والتعب فلا بأس بها أن تستدرك وتصحح في الوقت نفسه.

7- أنواع المعيار:

إن النظر إلى المعيار على أنه جامد وأن السير على نمط القدامى هو الذي يعمل على ترقية اللغة أمر نسبي خاصة في العلوم الإنسانية، وانطلاقا من المستوى الصوابي حددت أنواع مختلفة للمعيار باختلاف وجهات تناول كل باحث لنص معين.

1-المعيار النحوي: نحى النحويون منهج القدماء للحفاظ على اللغة العربية الفصيحة التي لا تشبها شائبة، فوضعوا معايير صارمة ودقيقة تحد من أي تصرف أو تلاعب مع أصول اللغة

---

[1] – عبد اللطيف الفرابي وآخرون، معجم علوم التربية ومصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، سلسلة علوم التربية، ط1، بيروت: 1994، دار الخطابي، ص 118.

[2] – رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي في العالم العربي، ط2، لبنان: 1982، ج 2، مؤسسة نوفل، ص 456.

العربية. ووجود مستوى العدول عند النحويين يؤكد تلك الحاجة الملحة لمخالفة المعيار اللغوي إلا أننا نجد فئة مؤهلة لتكوين أنظمة أو أساليب تتوازن مع النظام العام، وفئة أخرى تحاول العدول عن النظام اللغوي، ولكنها تخرج من دلالة إلى أخرى وهنا لا تتم الفائدة"... فقد وجد النحاة، أنفسهم ينظرون في المسموع وفي أيديهم أصول ثابتة يقيسون عليها ويتخذونها معايير حتى بالنسبة لما يقوله الفصحاء، ومعنى ذلك أن الفصاحة لم تعد المعيار الوحيد للقبول في عرف النحاة كما كانت قبل اكتمال النحو، وإنما أضاف النحاة إليها معيارا آخر للصواب والخطأ استخرجوه هم من الكلام الفصيح، تلك هي القواعد النحوية التي ربما رفضت بعض الفصيح فدمغته بالشذوذ إن لم تدفعه بالخطأ وإذا كان الشذوذ ينافي الفصاحة في أصولهم فلا شك أن الخطأ ينافيها"[1]، مما يعني أن النحاة معيارهم هو الكلام الفصيح، أما الشذوذ فهو الخارج عن الفصاحة إلا أنه مقبول ويليه الخطأ وهو المرفوض. وهذه القواعد مستنبطة من كلام العرب، وهذا ما يحاول تطبيقه من خلال التيسيرات النحوية وهي محاولة إيجاد قوالب جديدة مستنبطة من اللغة العربية المعاصرة شرط أن لا تتعارض مع الأصول فهي ضرورة تمر بها كل لغة حتى تنمو وتتطور شأنها في ذلك شأن الكائن البشري الذي يحاول التكيف مع مختلف البيئات.

2-السياق معيار: للسياق دور كبير في تحديد المعنى، وله دور في تحديد نسبة عدول الكلام عن الصواب والمعيار، "في ضوء الإحساس الشديد بضرورة البحث عن المعيار ... وجد ريفاتير Riffaterre أن السياق هو المعيار،فبدلا من أن يبحث عن المعيار في شأن خارجه عن السياق وجد أن السياق نفسه يمكن أن يكون هو المعيار"[2]. فالسياق هو الذي يستدعي عدولا محددا إذ يقوم بدور القاعدة التي يحتكم لها المتكلم بمخالفة الصيغ النمطية المعروفة في اللغة"ففضلا عن أن اعتماد السياق قاعدة للانحراف يتضمن كذلك غيره من القواعد، بل لعله يكون هو المظهر الوحيد لها أو الدال عليها، فعلى سبيل المثال إذا ما اتخذنا نظام اللغة

[1] – تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو، فقه اللغة، البلاغة، د ط، القاهرة: 2000، عالم الكتاب، ص96.

[2] – موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص 37.

قاعدة للانحراف أو العدول فإننا لا نستطيع إدراك الانحراف أو العدول عن قاعدة النظام اللغوي إلا ضمن سياق الكلام، إذ إن دلالة الإفرادية لا اعتبار لها، ومن ثم لا اعتبار إلا بالدلالة التركيبية وهي دلالة السياق لا غير، ومن ثم يصبح السياق هو مظهر العدول الحقيقي عن أي قاعدة من القواعد، ومن ثم يكون جديرا بأن يكون هو القاعدة السائدة في قياس العدول"[1]. إن السياق هو المعيار الأول الذي يحدد الصواب لأن القاعدة كنظام لغوي لا يمكن أن تتجسد إلا من خلال تركيب معين، فإذا أطلقنا حكم دخول نون التوكيد الثقيلة أو المخففة من الثقيلة على فعل الأمر المضارع بشروط وعدم دخوله على الماضي لا يعني أنها قاعدة يجب أن تحتذي حتى في حالة وجوب العدول وهذا ما نجده في قول الشاعر:

دامن سعدك لو رحمت متيما لولاك لم يكن للصبابة جانحا[2]

فهذا التعبير ليس من الخطأ في شيئ رغم عدوله عن الصواب أو الأصل، لأن الفعل دامن" هنا استعمل في مقام الالتماس فعومل معاملة فعل الأمر.

إن هذه الاستعمالات لا تدل على الخطأ بحكم السياق الذي اقتضى ذلك، فهي ضرورة لغوية تسمح لنا التعبير بتلقائية عن أغراض شتى، فاللغة ليست وسيلة للتوصيل فحسب، ننشأ كلامنا في قوالب جاهزة ولكنها تحمل كيان ثقافي وحضاري ونفسي، من خلال خلفيات تتحكم في أسلوب كل فرد، وهذه الأساليب هي التي تعمل على ترقية اللغة وجعلها لغة يعبر بها عن مقتضيات العصر، عصر السرعة والجاهز والاقتصاد اللغوي، الذي لا يحتمل استحضار القواعد اللغوية وحمل الحديث على القديم.

7-1- المتلقي معيار الصواب والخطأ:

قد يكون المتلقي هو مقياس الصواب والخطأ إليه تؤول رسالة التخاطب، فالكلام الموجه للوالد غير الكلام الموجه للصديق ولا هو نفسه الموجه للأستاذ وقس على ذلك، فأما إذا تساوت هذه الأوجه حكم على المتكلم بعدم البلاغة.ومن تلك الأساليب التي تقوم على

---

[1] – عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص37.

[2] – زين كامل الخويسكي، عبد الجواد حسين البابا، الصرف العربي صياغة جديدة، د ط، القاهرة: 1988، مؤسسة شباب الجامعة، ص 67.

الملتقي كمعيار"تجاهل المعرف: أسلوب تعبيري يعمد فيه المنشئ إلى العدول عن أمر يعرفه على وجه الحقيقة، لغاية معينة"[1]، فالمتلقي في هذا المقام على دراية بحقيقة معية، ولكن المتكلم يتجاهل تلك الأغراض تثير المتلقي كالتوبيخ، المبالغة في المدح، التحقير والتأنيس،ومثل هذا الأخير في قوله تعالى:**(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ) (طه: 17-18)** فنجد إجابة سيدنا موسى مستطردة لحالة الأنس والمحبة بين الله تعالى وسيدنا موسى .

8- أنواع العدول:

انطلاقا من المعايير السابقة حدوث أنواع العدول كما يلي:

8-1- العدول الصوتي:

يعرف العدول الصوتي على أنه انحراف على طريقة أداء الحروف فهو متصل بالجهاز النطقي عند الإنسان، ويختلف هذا العدول الصوتي من منطقة إلى أخرى، وفي بعض الأحيان من فرد إلى آخر في المجموعة الواحدة. وهذا ما تنبه إليه النحاة فرأوا"...أن الحرف الواحد تتعدد صوره بحسب موقعه مما جاوره من الحروف فكان عليهم أن يجردوا أصلا لهذه الصور وأن يجعلوا الصورة المختلفة عدولا عن هذا الأصل بحسب مبادئ معينة للتغيير و التأثير، كأثر الإدغام والإغفاء والإقلاب..."[2]. فكل عدول يعود إلى أصل واحد ولهذا حددت حروف اللغة العربية بثمانية وعشرين حرفا، ولو لا هذا الرد إلى الأصل الواحد لأصبحنا في عدد لا نهائي من الأصوات.

إن الصواب من استعمال الأصوات على طبيعتها التي نطقت عليها العرب سليقة تؤدي معاني معينة محددة والعدول عن هذه الأنماط الثابتة يؤدي إلى معان أخرى تتحدد حسب الأسلوب الذي استثمرت فيه"فقد أخضعت هذه الزوائد الصوتية الصيغ إلى معايير قياسية، سجلت معها منظومة التحكم الصرفية العربية أوزانا، ذات دلالات متباينة، حسب القوة الصوتية لإنتاج هذه الأصوات واختلاف صفاتها، وتفاعلها مع أصوات البنى

[1] - عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص 562.

[2] - تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو، فقه اللغة، البلاغة، ص 107.

الأصلية،واستجابتها لعوامل التأثر والتأثير وقدراتها على التحول الانتقالي في الميدان الوظيفي"[1]فيقوم المبدع بعدول صوتي قصد الإتيان بلفظ يحاكي بهيئة النطق فيه معنى يقتضيه السياق أو المقام لم يتوفر في الشكل الأول وذلك نحو قوله تعالى**(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(سورة آل عمران31)** ففك الإدغام في (يحببكم)يحمل معنى الزيادة والتضعيف في حب الله لمن يحبه، مما يعني أن التكرار نوع من العدول الصوتي.

والأخطاء السمعية نوع من العدول الصوتي ويقصد بها"...سقط الأصوات الضعيفة: قد يحيط بالصوت بعض المؤثرات تعمل على ضعفه بالتدرج كوقوعه في آخر الكلمة وزيادته عن بينهما، وعدم توقف المعنى المقصود عليه، فيتضاءل جرسه شيئا فشيئا حتى يصل في عصرها إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع، فحينئذ يكون عرضه للسقوط، وموقع الصوت في الكلمة... يعرضه كذلك تكثير من صنوف التطور والانحراف"[2] فظهر العدول الصوتي يكون في مواضع عدة ومن الطبيعي ان يظهر خاصة على مستوى اللهجات لأن الجانب الصوتي يستشف من المسموع ومن الأداء اما من ناحية المكتوب المقيد فهو قليل إلا اننا لا يمكن أن ننفي هذه الظاهرة عليه كما سيتبين ذلك لاحقا.

إن هذا العدول الصوتي جائز في اللغة لكن هناك ما يرتكب من أخطاء صوتية غير جائزة، وقد حدد أحمد مختار عمر أنواع مختلفة للمآخذ الصوتية والنطقية، رصدها من خلال تحليله لأخطاء الإعلام المصري وكلها أخطاء يجب الحد منها وإيجاد حلول عملية ورفض مسلمات العصر (كسكَّنْ تسلمْ) (والمهم الفهم) (والخطأ المشهور أفضل من الصواب المهجور)... وإذا ما تساهلنا مع هذه الأخطاء أصبحت من الأخطاء الشائعة التي يصعب تداركها.

8-2- أسباب العدول الصوتي:

[1] – عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص 324.

[2] – على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط 8، القاهرة: د ت، دار نهضة مصر، ص 137، 138، 139، 140، 141.

غالبا ما يكون السياق والتأثير في المتلقي هما المتحكمان في نسبة العدول الصوتي، فالدلالة هنا لا ترجع إلى عدول الصوت في حد ذاته وإنما تعود للسياق الذي ورد فيه ذلك العدول "فالسياق هو الذي حمل الصوت هذا المعنى وهو الذي استخدم الحرف أو الكلمة كصوت ليكسبها دلالة سياقية حينية مؤقتة، وليست دلالة دائمة تستصحب في غيره من السياقات، فكل سياق له دلالاته التي يخلعها على أصواته، وكل قارئ أو سامع له ذوقه الخاص في استكناه دلالات تلك الأصوات وتأثره بها وإن كان هذا لا ينفي وجود حس أو ذوق عام يكاد يشترك في فهم دلالات كثيرة من تلك الاصوات في السياقات والمواقف المختلفة وإن كان ذلك يختلف –لا محالة– باختلاف البيئات اللغوية"[1]. فالدلالة قد تفهم من خلال البنية الصوتية، ونظرا لأهميته في المعنى عرفت مصطلحات خاصة به كالترنم والتنغيم خاصة وأن الثقافة العربية ثقافة نص مسموع في المقام الأول.

ومن أسباب العدول الصوتي التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق "فمن المقرر أنّ أعضاء النطق في الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عمّا كانت عليه عند آبائنا الأولين، إن لم تكن في بنيتها الطبيعية، فعلى الأقل في استعداداتها، بل إنها لتختلف في ذلك عما كانت عليه عند ابائنا الأقربين، وغنى عن البيان أن كل تطور يحدث في أعضاء النطق أو استعدادها يتبعه تطور في أصوات الكلمات فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملائمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق، فكان من المستحيل إذن أن تجمد ألفاظ اللغة العربية على حالتها الاولى في الأمم الناطقة بها، ولم يكن مفر من أن ينالها كثير من التطور باختلاف العصور..."[2]. فالعدول الصوتي هنا خاصية تجمع كل اللغات نتيجة التطور الطبيعي لأجهزة النطق التي تطور ملائمة للبيئة المعاصرة المخالفة لبيئة الأجداد.

8-3- العدول النحوي:

[1] – عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ط1، القاهرة: 2004، الدار الثقافية، ص 15.

[2] – على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط8، القاهرة: دت، دار نهضة مصر، ص 134، 135.

وهو الخروج عن القواعد النحوية للغة العربية وهو ما يطلق عليه باللانحوية:" والمقصود بهذا هو الانحراف الخارق لمعيار النحو المتعارف عليه، ومع ذلك فإن هناك بعض الاعتراضات التي لا تجعل هذا النوع من الانحراف مسوغا ومقبولا إذ ليس كل خروج عن الوظيفة النحوية يمتلك وظيفة جمالية..."[1]. فالعدول النحوي لا يجب أن يمس بالأصول وحتى على مستوى الفروع، لا يكون العدول إلا لغرض اقتضاه السياق. وهذا ما استدركه النحويون إذ وضعوا مقاييس للعدول عن معيار النحو " فالجملة عند النحاة ركنان المسند إليه والمسند... وما عدا هذين الركنين مما تشتمل عليه الجملة فهو فضلة يمكن أن يستغني عنه تركيب الجملة. وشروط جواز العدول عن أصل من هذه الأصول أن يؤمن اللبس فتتحقق الفائدة، ومن هنا لا يكون الحذف إلا مع وجود الدليل، ولا يكون الإضمار إلا عند وجود المفسر، ولا يكون الفصل إلى بغير الأجنبي ولا التقديم والتأخير إلا مع وضوح المعنى وحيث لا تكون الرتبة واجبة الحفظ"[2]، وهذه القواعد تضمن عدم العدول النحوي إلا ليؤمن اللبس لان الاكثار منه يقلب الصورة فيصبح العدول إليه هو المطرد والشائع، وربما هذا الجانب هو الذي خلق اللهجات في عصرنا فخرجنا من العدول الجائز إلى اللاجائز، وهو الخطأ المرفوض.

ويظهر هذا العدول النحوي المرفوض في مختلف موضوعات النحو وأبوابه"... ومن ذلك أبواب العدد، ومنع الصرف، وبعض مسائل الاستثناء والإتباع، وخلط أجزاء الجملة نتيجة طولها، وربما كان من أهم الانحرافات النحوية ما يسببه طول الجملة، وفصل المتعلقات عما تتعلق به مما يوقع في لبس..."[3] إن مثل هذه الأخطاء يمكن تجاوزها وذلك بوضع علامات الوقف بشكل واضح وتشكيل آخر الكلمات وكل الكلمات إن استدعت الضرورة وكتابة الأعداد بالحروف لتسهيل قراءتها إضافة إلى حسن إعداد النص المراد بثه بقراءة اولية واستشارة إدارة التحرير عند وجود صعوبة، وإذا أخطأ فلا بأس عليه شرط أن يشير إلى ذلك بالاعتذار

---

[1] – موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتهان ط1، الأردن: 2003، دار الكندي، ص 38.

[2] – تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية،دط، القاهرة: 2000، عالم الكتب، ص 121، 122.

[3] – أحمد مختار " الانحراف اللغوي في الإعلام المصري المسموع مظاهره وسبل تقويمه" مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة:2001، ع 62 ، ص 44، 45، 46، 47.

والتصحيح في نفس الوقت وليس استعمال الحرف (او) الشائع عند الصحفيين مما قد يعني أن الصواب والخطأ مترادفان.

8-4- العدول الدلالي:

هو الخروج من المعنى الأصلي للكلمة إلى معنى ثان يحدده السياق فيكون للفظ مدلولان مدلول أول قريب ظاهر ليس هو المقصود ومدلول ثان نصل إليه من خلال علاقات عقلية وهو المقصود وقد اطلق عليه القدماء اسم المجاز الذي يعدل عن الأصل بصور عدة للعرب المجازاة في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب، والتقديم ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع ومخاطبة الجمع خطاب الواحد والجمع خطاب الاثنين والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العمومي لمعنى الخصوص"[1]، فهي أشكال مختلفة للعدول بها يتغير مدلول الكلمات تبعا لحالات استعمالها. إلا أن كثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي تؤدي غالبا إلى انقراض معناها الحقيقي وحلول المعنى المجازي محله "... واستخدام الكلمة في فن أو صناعة بمعنى خاص يجردها في هذا الفن أو في هذه الصناعة من معناها اللغوي ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي ويتغير مدلول الكلمة أحيانا تحت تأثير القواعد فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى انحراف معنى الكلمة وتساعد على توجيه وجهة خاصة فتذكير كلمة (ولد) مثلا في العربية (ولد صغير) قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالمذكر ولذلك أخذ مدلولها يدنوا شيئا فشيئا من هذا النوع حتى أصبحت لا تطلق في كثير من اللهجات العامية إلا على الولد من نوع الذكور"[2]، وهذا له علاقة بتطور معاني المفردات، فقد تكون المفردة تدل على العام لتدل على الخاص أو العكس إضافة إلى الألفاظ المستعملة عند القدماء لمعنى واحد لتستعمل عند الخلق بمعاني مختلفة تحت تأثير التوسع والمجاز.

[1] – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، ط1، القاهرة: 1954، دار الرجاء، ص15.

[2] – على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص143.

8-5- العدول الصرفي:

إن كل حرف يضاف إلى صيغة صرفية يستلزم زيادة في المعنى يقول ابن جني إن زيادة المبنى " إنما جاء لمعنى"[1]. فكل زيادة في بناء صيغة الكلمة الصرفية تستوجب زيادة في الدلالة مما يدل أن اللغة العربية لغة مطواعة مرنة يمكن اشتقاق عدد كبير من المفردات وتكون الزيادة في أول صيغة أو آخرها أو وسطها فمن (فعل) نشتق (استفعل) و (افتعال) و (فعلت)"... والزيادة في الكمية الصوتية تشكل ما يمكن أن تطلق عليه (القرائن الصرفية الدلالية) أو المورفيمات (morphème) التي توصف بأنها عناصر صرفية صغرى ذات قيم تمييزية تكمن في الوظائف التي تؤديها وهذه الملحقات الصرفية التي يعبر عنها المورفيم باعتباره علامة (signe) تتوزع على ثلاثة أنواع: السوابق (prefixe) و الدواخل (infixe) واللواحق (suffixe) تؤدي هذه الزيادات الصوتية إلى استيعاب دلالات جديدة"[2].

وهذه الزيادة في الحروف وفق أوزان صيغ معروفة في اللغة العربية بالاشتقاق وفي اللغات العربية بنظام السوابق واللواحق الذي لم ينجح تماما في اللغة العربية ساعد على إيجاد مصطلحات كثيرة مقابلة للمصطلحات الوافدة من الغرب دون اللجوء إلى التعريب و الترجمات " فلقد أخضعت هذه الزوائد الصوتية الصيغ إلى معايير قياسية سجلت معها منظومة التحكم الصرفية العربية أوزانا"[3]، هذه الاوزان تستجيب لقوانين اللغة العربية الصوتية والدلالية فكان ذلك العدول جائزا لإثراء اللغة، أما العدول الصرفي غير جائز مقارنة بما يجب أن يكون يتمثل عند "... الخطأ في ضبط عين الفعل الثلاثي المجرد في كل من الماضي والمضارع...

---

[1] – ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط 3، لبنان: 1986، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، ص 233.

[2] – عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ط1، الأردن: 2002، دار صفاء، ص 324.

[3] – المرجع نفسه.

الخطأ في ضبط عين الماضي المضعف من باب فرح حين فك إدغامه لإسناد الفعل إلى ضمائر الرفع المتحركة... ويلي هذا الخطأ في الشيوع والكثرة الخطأ في ضبط حروف المضارعة نتيجة الخلط بين الفعل الثلاثي المجرد، والثلاثي المزيد بالهمزة مثل: كانت تأوي جماعة من المنشقين، والصواب: تُؤْوي... ومن أمثلة الانحرافات الصرفية كذلك الخطأ في التعامل مع المؤنث المجازي عن طريق تذكيره، وعودة الضمير عليه مذكرا، في كلمات مثل سين وفخذ، وأذن، وكتف، يمين، وبئر، وقد تؤكد عن هذا الخطأ خطأ آخر يتمثل في تأنيث عدد من الكلمات المذكرة مثل بلد ورأس، ومستشفى"[1] وكانت هذه الأمثلة من العدول على سبيل التمثيل لا الحصر فالعدول الصرفي شمل قواعد التثنية وجمع المؤنث السالم، والنسب وعدم التميز بين اسمي الفاعل والمفعول والخطأ في إسناد الأفعال إلى الضمائر وقس على ذلك حتى تجد نفسك أحصيت جميع أبواب الصرف العربي.

8-6- العدول على مستوى الكتابة:

لقد تطورت الكتابة العربية عبر العصور، فهذه الكتابة على شكلها الذي استقرت عليه حاليا في عصرنا هذا، ليست هي كتابة المخطوطات العربية القديمة، والذي ساعد على استقرارها هو نزول القرآن الكريم بكتابة قرشية"... ولكنها قد تطورت في تفاصيلها تطورا كبيرا تحت تأثير عوامل مختلفة.

وفي الواقع إن تطور الكتابة ليس معضلة تعيق اللغة عن التطور بالعكس فهو نمو طبيعي للغة " على أن اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث لا ينطوي على شيء من الشذوذ حتى نتلمس علاجا له بل هو السنة الطبيعية في اللغات... لغات الكتابة فيها، قد أخذت تتطور شيئا فشيئا، وتنحرف عن أصولها الأولى، بينما ظلت لغة جامدة على حالتها القديمة أو ما يقرب منها"[2]، فعدول لغة الكتابة عن الأصل ليس أمرا شاذا ينحصر في اللغة العربية بل هي ظاهرة تشترك فيها جميع اللغات فهي سنة الطبيعة، ولا يمكن أن نجد لها بديلا أو نفرض عليها قوانين استنبطها العرب من خلال دراسة وصفية تحليلية لواقعهم اللغوي، لنفرضها على لغتنا بدل التسليم بضرورة التطور الذي لا يتعارض مع الأصول.

---

[1] – أحمد مختار " الانحراف اللغوي في الإعلام المصري المسموع مظاهره وسبل تقويمه" مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة:2001، ع 62 ، ص 48، 49.

2 – المرجع نفسه.

ويبقى أن العدول يحمل سمات أسلوبية مميزة "فمخالفة الاستعمال العادي والمألوف توكيد على نبذ الوضوح والابتذال، لأنهما عنصران لا يثيران في نفس الإنسان شيئا من الدهشة والمفاجأة والخلخلة، ولذلك فإن الالتفات إلى ظاهرة تجاوز الحدود وتخطي الأنظمة اللغوية يشكل أسسا راسخة للشعرية العربية القديمة..."[1]. فتمرد الشاعر على القواعد اللغوية هو الذي جعلها تتميز بمخاطبة المشاعر والوجدان لتحقيق الإثارة ونبذ المعتاد الذي لا يخلق مفاجآت، مما يشعر بالملل فأثار الفصحى على غرار الشاعر عدوانا على ذلك النظام على مختلف سننه وأعرافه، إلا أنه يجب التوفيق بين النظام اللغوي والعدول عنه.

إذا كان العدول انتهاك لنظام اللغة عند المحدثين، فهو ضرورة لمعنى الإفادة عند القدماء، مما يعني أننا مطالبون بالحفاظ على هذه اللغة الحاملة لهويتنا وتاريخنا وثقافتنا، فلا يمكن بناء الحاضر دون التأصيل في الماضي، ومن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل، فكل مسؤول على حماية اللغة سواء كانت وسيلة كما هي عند الصحفي او كغاية عند النحوي واللغوي الذين يجب أن يكونوا أيادي أمنية تعمل على رقي اللغة العربية مع كل بصمة صحفي وقطرة حبر نحوي.

والمستنتج أن العدول مسموح في نطاق محدد، فلا يجب المس بالأصول التي تعد مسلمات وبدهيات لا تتناف مع المنطق ولا العقل، فوجب الفصل بين العدول الجائز المتفق عليه أنه حامل الإبداع ودرجة إبلاغ عالية، وبين الخطأ الذي يصدر سواء لجهل القواعد أو نتيجة الانفعال، فلا يجب التسامح معه لأن معالجة المرض يستوجب استئصال جذوره، ومن المؤكد أن هذه الأخطاء الصغيرة أو الهفوات هي التي تتطور لتصبح من المسموع في كل مكان، وكما يقول ابن خلدون " السماع ابو الملكات اللسانية"، والصحافة أو وسائل الإعلام قريبة من الأسماع والأذهان، فإذا تردد الخطأ على مسمع الفرد أكثر من مرة ترسخ في ذهنه وأصبح هو الصواب لديه. فكيف نرضى أن نهبط بالمستوى العالي الذي أراده الله للغة العربية بدل تعليمها بشكل يفهمها الجميع فترقى الأذهان واللغة معا.

إضافة إلى أن اللغة العربية الفصيحة هي الوحدة لأبناء الوطن العربي الواحد وأبناء الأمة الإسلامية جمعاء، فعلى اللغة أن تنطلق من مبدأ أن لها مسؤولية في هذا التوحيد، ورقي هذه اللغة وهو ما يحاول تحقيقه الإعلام بتقبلهم الانتقادات والأخذ بها، كما أننا لا يمكن أن ننكر دور الصحافة في رقي اللغة العربية وإثرائها بالأساليب والألفاظ. وهذا ما تقوم به كل

[1] – موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط1، الأردن: 2003، دار الكندي، ص 49، 50.

الدول فنجد الأكاديمية الفرنسية تسخر أموالا طائلة و مجهودات جبارة للرقي بلغتها مع متابعة تأكيد تطبيق القرارات الصادرة منها بالحرف الواحد وفي جميع المجالات، وأرجو أن تقوم المؤسسات اللغوية العربية بهذا الدور اتجاه اللغة العربية لإيقاف هذه الكارثة القومية المدمرة، باتخاذ كل السبل من حسن التخطيط والإعداد الجيد لأساتذة اللغة العربية لتحقيق تعليم يساعد المتعلم على اكتساب اللغة الفصحى بشكل جيد ابتداء من الابتدائي إلى غاية الجامعي

الفصل الثاني: العدول في القرآن الكريم

المبحث الأول: العدول في الإعراب

1- معنى العدول

2- معنى الإعراب

أ- العدول عن الرفع إلى الجر وعكسه

ب- العدول عن النصب إلى الجر وعكسه

ت- العدول عن النصب إلى الرفع وعكسه

المبحث الثاني: العدول في العدد في النص القرآني

1- العدول بين الإفراد والتثنية

2- العدول بين الإفراد والجمع

3- العدول بين التثنية والجمع

4- العدول في العدد

4-1- الحمل على المعنى

4-2- الحمل على اللفظ

المبحث الثالث: تذكير المؤنث حملا على المعنى في القرآن الكريم

1- آراء العلماء في ظاهرة تذكير المؤنث

2- الألفاظ المؤنثة الواردة بالتذكير حملا على المعنى في القرآن الكريم

3-تأنيث المذكر

4- الحمل على اللفظ

5- الحمل على الفصل

6- وظيفة العدول

المبحث الأول: العدول في الإعراب:

1- معنى العدول:"لأن تريد لفظا فتعدل عن اللّفظ الذي تريد إلى الآخر"[1]. وهذا سمّوه بالصرف، سواء " كان في الحركات أو في الأصوات أو الصيغ أو في التركيب.

2- معنى الإعراب:"أثر الظاهر أو مقدر يجبله العامل في آخر الكلمة"[2].و الأصل في الإعراب الحركات أما الإعراب بالحروف فعدول عنه إذ العرب قد عدلت عن الضمة إلى الألف في المثنى نحو: " جاء الزّيدان"، و إلى الواو في الجمع المذكر السالم نحو " جاء الزّيدون" وإلى الأفعال الخمسة نحو: " يفعلان و تفعلان.

كما عدلت على الفتحة نصبا إلى الألف في الأسماء الستة نحو:"رأيت أباك وأخاك ...إلخ" وإلى الكسرة في الجمع المؤنث السّالم نحو:" أكرمت البناتِ"، وإلى الياء في المثنى وجمع المذكر السالم نحو:" رأيت الوَالدين، وأكرمت المُحَمدِيَنَ".

كما نراهم عدلوا عن الكسرة إلى الفتحة في الممنوع من الصرف نحو" سلمت على إبراهيم"، و إلى الياء في الأسماء الستة والمثنى والجمع المذكر السالم نحو" مررت بأخيك، وبالوَالِدِين وبالمُحَمَّدِيَن".

كما نراهم عدلوا عن السكون في الجزم المضارع الناقص إلى حذف العلّة من أشهر لغات العرب نحو:" لم يحشَ، لم يَرَ". إلى حذف النون من الأفعال الخمسة نحو قوله " فإن لم تفعلوا"[3].

والحركات في العربية، إما إعرابية كما تقدم. وإما غيرها وهي كثيرة مثل التّخلص من التقاء الساكنين وحركة الخفّة وحركة الإشباع.... الخ.

ويشترك الاسم والفعل والنصب نحو:" محمد يقومُ"و" و إن محمَدًا لن يقوم" ويختص الجرّ بالاسم فقط كما يختص الجزم بالفعل فقط.

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق د/كاظم بحر المرجان، دار الرشيد. 1982،ج2، ص 1008.

[2] - ابن هشام: أوضح المسالك، تحقيق محمد محي الدين، ط4، مطبعة النصر بمصر 1956، ج1، ص28.

[3] - ابن هشام: شذور الذهب، تحقيق محي الدين، ص 37 .38.

أ- العدول عن الرفع إلى الجر وعكسه.

أ-1- العدول عن الرفع إلى الجر:

الرفع هو الحكم الأصلي في أبواب: المبتدأ، الخبر، وبعض محمولات النواسخ والفاعل ونائبه وبعض أحوال التوابع.

لكن ورد الجر في بعض الحالات لهذه المسائل المعروفة بالرفع لأسباب شتى، و لعل أهم ما ورد فيه الجر عدولا عن الرفع ما يلي:

- الفاعل:

تعريفه: اسم أو ما تم فيه تأويل المسند إليه الفعل وأما في تأويله، مقدّم أصل المحل والصيغة[1]. وحكم إعرابه: الرّفع كما هو معروف لدى الجميع نحو" تبارك الله".

ولكن نرى في بعض الحالات قد تتوسع العرب في إعراب الفاعل فتعدل عن الرفع في اللّفظ على الجر بزيادة حرف الجر "الباء" و " من"، كما في الأمثلة التالية:

1- جر الفاعل بالياء الزائدة كما في فاعل كفى:

نحو **قوله تعالى:**" **كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا**" **(الفتح 28)**. حيث جاء لفظ الجلالة هو الفاعل للفعل(كفى مجرورا وهو مرفوع على الأصل بالفاعلية وإن جر لفظا بحرف الجر. الزائدة. الباء.

ونحو **قوله تعالى: ... وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**" **(الأنبياء:47)**، و**قوله تعالى:**" **... وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا**" **(النساء:45)**، وقول الشاعر:

فكفى بنا فَضْلاً على مَنْ غيرُنا حُبُّ النبيِّ محمدٍ إيانا.

لأن الأصل فيه كفى الله و كَفَيْنَا **كقوله تعالى:**"... **وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**" **(الأحزاب: 25)**، وتقديره كَفَى اكتفاؤك بالله أي اكتفاؤك بالله يكفيك.

وضعفه ابن الجنّي لأن الباء على هذا متعلقة بمصدر محذوف وهو الاكتفاء و محال حذف الموصول وتبقية صلته، أو أن الباء الزائدة دخت لتأكيد الاتصال لأن الاسم في قولك

[1] – محمد محي الدين عبد الحميد: أوضح المسالك، ج1، ص 335 – 336.

كفى بالله يتصل بالفعل اتصال الفاعلية وفعلوا ذلك إيذانا بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عظم المنزلة فضعف لفظها لتضاعف معناها[1].

أما حكم جر الفاعل بالباء الزائدة فهو على ثلاثة أضرب: واجب، جائز كثير، شاذ، أما الواجب ففي الفاعل افعل في التعجب نحو **قوله:"... اسمع بهم وأبصر" (مريم 38)** وأما الجائز الكثير ففي فاعل كفى نحو **قوله تعالى:"... كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا" (الفتح 28).**

أما الشاذ ففي قوله الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنهى بما لاقت لبون بني زياد[2].

2- حرف الفاعل بمن الزائدة:

نحو **قوله تعالى:"... أن تقولوا ما جاءنا من بشير" (المائدة:19)**، فقد عدل في إعراب الفاعل "بشير" عن الرفع إلى الجر وذلك بزيادة حرف الجر "من" هنا للمبالغة في نفي المجيء والتأكيد مضمون الجملة أن التأكيد العموم[3].

ومثله **قوله تعالى:"...مَا تَسْبِقُ مِنْ أمةٍ أَجَلَهَا" (المؤمنون: 43)** فقيل من زائدة في الفاعل وكذلك **قوله تعالى :" وما يأتيهم من ذكر" (الشعراء:05)**، و **قوله تعالى:" ... وما تخرج من ثمرات من أكمامها" (فصلت: 47).**[4]

أ-2- العدول عن الجر إلى الرفع:

من المعلوم أن الجر يشبه في أبوابه الثلاثة:الجر بالحروف- الجر بالمضاف، الجر على التبعية وينذر في ذلك. ولكن ورد الرفع في بعض الحالات لهذه المسائل المعرفة بالجر لأسباب شتى ولعل أهم ما فيه الرفع عدولا عن البحر ما يلي:

- الاسم الواقع بعد "إلا" التي هي بمعنى "غير" :

الأول: أن تكون للاستثناء نحو **قوله تعالى:"...فشربوا منه إلا قليلا" (البقرة:249).**

---

[1] - الزجاج: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 135، 141، 142.

[2] - إبن هشام: أوضح المسائل إلى ألفية ابن مالك، ج1، ص 337.

[3] - العلامة الشوكاني: فتح قدير، ج2، ص 24.

[4] - الشيخ عظيمة: دراسة لأسلوب القرآن، ج1، ص 414، 416.

الثاني:أن تكون بمنزلة غير فيوصف بها نحو **قوله تعالى:**"...**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**" **(الأنبياء:22).**

الثالث:أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك في اللفظ والمعنى نحو **قوله تعالى:**" ... **لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**" **(البقرة :150). وقوله تعالى :**"...**إني لايخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء** "[1].

ولكن نرى في بعض الحالات قد وسعت العرب في إعراب الاسم بعد إلا التي في موضوع غير من البحر إلى الرفع كما في هو في حال في المثال[2] في استعمال إلا **وهو قوله تعالى :**"...**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**" .

حيث ورد إلا في موضع غير و أخذ حكم إعرابه وإعراب الاسم بعدها بمثل إعرابها وتقديره غير الله وإلا هذه في موضع غير نعت للآلهة ولا يجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ فجاء لفظ الجلالة مرفوعا عدولا عن البحر بعد ما ضمن إلا معنى غير في اللفظ والمعنى وذلك حملا على اللفظ دون معناه.

وقيل في معنى غير الذي يراد بها البدل أي لو كان فيهما آلهة عوض واحد الذي هو الله لفسدتا، وقيل لا يجوز أن يكون بدلا لأن المعنى يصير إلى قولك لو كان فيهما الله لفسدتا.

وقيل يمتيع البدل لأن ما قبله إيجاب وقيل إلا في موضع سوى و المعنى لو كان فيهما ألهة سوى الله لفسدتا .

---

[1]- ينظر: شرح ابن عقيل:ج1،ص 610

[2] - البغدادي :خزانة الأدب ج2، ص208

ب- العدول عن النصب إلى الجر وعكسه:

ب-1- العدول عن النصب إلى الجر

يشبع النصب في أبوابه المفعولات وبعض أنواع المنادى والحال والتمييز والمستثنى وخبر كان و أخواتها و اسم إن وأخواتها وبعض أحوال التوابع،ولكن ورد الجر في بعض هذه الحالات لأسباب شتى منها :

- **في صفة الموصوف**

نحو قول الشاعر : فإياكم وحية بطن واد هموز الناب ليس لكم لبسن

قيل جر الهموز و هو من صفة الحية لمجاوراته لواد و الوجه أن يقول وحية بطن واد ...هموز الناب بفتح الزاي.

وقال الشاعر : كأنما ضربت قدام أعينها قطنا بمستحصد الأوتار محلوج

و جر محلوج على الجوار و كان ينبغي أن يقول محلوجا لكونه وصف لقوله قطنا و لكنه جر على الجوار قيل هو وصف للأوتار دون القطن ومثله قول الشاعر :

كأن نسج العنكبوت المرملِ.

فخفض المرمل و كان ينبغي أن يقول المرملا لكونه وصفا لنسيج العنكبوت وقيل هو وصف للعنكبوت لا لنسيج[1].

ومثله قول الشاعر:

فدافعت عنه الخيل حتى تبددت وحتى علا في حالك اللون الأسود

فأسود نعت لحالك وجر لمجاورته المجرور ومثله قول الشاعر:

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس به خال ولا ندب

حيث غير نعت لسنة المنصوبة و جر للمجاورة و الوجه أن يقول لسنة وجه غير مقرفة ومثله قول الشاعر:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب

[1] -الفراء : معاني القرأن . تحقيق أحمد يوسف .دار الكتب . القاهر. 1900م.ج2.ص74.

فاتبع كل فض الزوجات وهو منصوب لأنه نعت لذوي وقيل توكيد لذوي[1]

ب-2)- العدول عن الجر إلى النصب:

يشبع الجر في أبوابه حروف الجر والإضافة وبعض أحوال التوابع لكن ورد النصب في بعض الحالات لهذه المسائل المعروفة بالجر عدولا لأسباب شتى ومما ورد فيه النصب عدولا عن الجر ما يسمى بالنصب على نزع الجار قول الشاعر:

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم علي إذا حرام

الأصل تمرون بالديار بذكر حرف الباء و كسرة الديار إلا أن العرب توسعت في ذلك فحذفت الجار ونصبت المجرور عدولا و توسعا. ومثله قول الشاعر:

أتريد قومك ما أراد بوائل يوم القليب سميك المعطوف.

أراد "يقومِك" فحذف الباء فظهر النصب المعاقب لها ومثله قول القائل:

ومن قبل آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمدًا.

حيث نصب محمدًا بأمنا والأصل بمحمدٍ ومنه قول الشاعر:

أستغفر الله ذنبًا ليست معصية رب العباد إليه الوجه والعمل.

وقول الشاعر: امرتك الخير فأفعل ما أمر به فقد تركتك ذا مال وذا نسب

ومثل قول الشاعر:أليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القربة السوس.

يريد أستغفر الله ذنبٍ وأمرتك بالخير وعلى حب ومنع بعض النحاة هذا الإعراب وهو نيابة المنصوب بسقوط الجار مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار، ومنه قول الشاعر:

و ما زرت ليلى أن تكون حبيبة إلى ولادين بها أنا طالبها.

استشهد به على أن محل المنصوب بنزع الخافض بعد أن وكي عن الكسائب بدليل ظهور الجر في المعطوف عليه في البيت والشاهد في قوله أن تكون حبيبةً حيث حذف حرف الجر إذا صلة لأن تكون وفيه خلاف فادعى الخليل محله الجر بدليل عطف قوله ولا

[1] - المرجع نفسه، ج2، ص 74.

دين بالجر عليه وهو مذهب الكسائي أيضا ومذهب سبويه والفراء أنه النصب ويقال مذهب سبويه هنا احتمال لأمرين ويقال لا دليل في ذلك لجواز أن يكون عطفا على توهم دخول اللاّم ومثله قول الشاعر:

لَدْنٌ بهز الكف بعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب.

استشهد به على شذوذ حذف الجار والأصل عسل في الطريق ومثله أيضا قول الشاعر: جزى الله رب الناس خير الجزاء رفيقين قالا خيمتي أمي معبد.

أي قال في خيمتي[1]. ومثله قراءة **قوله تعالى:**"... **لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9)**" **(الصافات: 8-9)**، فتح الدال كأنه قال يقذفون بداحرٍ[2].

و مثله **قوله تعالى** :"... **واخْتَارَ مُوسى قومه سبعين رَجُلاً**" **(الأعراف:155)**، وقيل جاء في التفسير اختار منهم سبعين رجلا وإنما استجيز وقوع الفعل إذا طرحت من لأنه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم فلما جازت الإضافة مكان من ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا اخترت منكم رجلاً وقد قال الشاعر:

فقلت له اخترها قلوصًا سمينةونابًا علينا مثل نابك في الحياة[3]. وقيل اختار افتعل من الخير وهو التَّخيّر والإنتقاء واختار من الأفعال التي تعدت إلى اثنين احدهما بنفسه والآخر بواسطة حرف الجر فيتعدى إليه الفعل فيقول اخترت زيدًا من الرجال واخترت زيدًا الرجال.

ومشكلة قول العرب " أخوك من صدقك النصيحة" يعني النصيحة في أمراك والدنيا أي صدقك في النّصيحة وحذف في أوصل الفعل[4].

---

[1] – الشنقيطي: دور اللوامع، ط1، مطبعة كردستان، القاهرة، 1328هـ، ج1، ص 169.

[2] – القراء: معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف، دار الكتب، القاهرة، 1900م، ج2، ص 383.

[3] – القراء: معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف، دار الكتب، القاهرة، 1900م، ج2، ص 395.

[4] – الميدان: مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين، ط2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1959، ج1، ص3 23.

ومثل قول العرب " يهرُش مؤلُفَهُ" يضرب لمن تحسن إليه ويذمك والتهريش كالتحريش وهم الإغراء بين الكلاب وأراد يهش الكرب لمؤلُفِه وحذف الجار و أوصل الفعل[1].

وفي حديث" ثم أكبُوا رواحلهم في الطريق" فقوله أكبوا رواحلهم أي ألزموها الطريق كما يقال كبُوبه ألف يقال كببيته فأكب هو بنفسه فالأول معتدي والثاني لازم وقيل هو من باب حذف الجار وإيصال الفعل:" يقال أكبُ الرُجل على عمله إذا لزمه والمعنى، جعلوها مكبُبة على لزوم الطريق وقطعه"[2] وفي حديث عمر بن العاص "ومشى ضحضاحها" فنصب ضحضاها على تأويل مشى بسلك وخاض نحوهما هما يدَ عدُى ينفسه أو حذف الجار وإيصال الفعل[3] ومثله **قوله تعالى:**"**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**" **(يوسف:09).**

وقيل أرضا منصوب على أنه ظرف مكان وتعدى إليه الفعل اطرحوه وهو لازم لأنه ظرف مكان مبهم إذا ليست له حدود تحصره ولا نهاية تحيط به.

وزعم النحاس أنه غير مبهم. وكان ينبغي أن يتعدى إليه الفعل إلا بحرف الجر إلا أنه حذف حرف الجر وهو قول ليس بمرضي وفي الكشاف أرضا منكرة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف لإبهامها من هذا الوجه نصبت نَصْبَ الظروف المبهمة.

وقيل انتصب أرضا على إسقاط حرف الجر أي في أرض بعيدة غير التي هو فيها ومثله **قوله تعالى:**"**... كنا طرائق قددا**" **(الجن: 11)** ففي الكشاف أي كنا ذوي مذاهب مفترقة مختلفة. أي في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كن في طرائق مختلفة كقوله" كما عسل الطريق الثعلب أو كانت طرئقتا طرائق قدوا على حذف المضاف الذي هو

---

[1] – المرجع نفسه، ج2، ص 195.

[2] – ابن الأثير: منار الطالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق محمود محمد الظاجي، مكة المكرمة، ص 247، 253.

[3] – المرجع نفسه، ص 467، 470.

الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه وقيل أن ينتصب على إسقاط في فقيل لا يجوز ذلك إلا في الضرورة وقد نصبه سبويه على أن العسل الطريق شاذ فيها يتخرج عله القرآن"[1]

ت- العدول عن النصب إلى الرفع وعكسه:

ت-1- العدول عن النصب إلى الرفع:

يكثر النصب في أبواب المفعولات وبعض أنواع المنادى والحال والتمييز و المستثنى وخبر كان وأخواتهما واسم إن و أخواتها وفي بعض أحوال التوابع ولكن ورد الرفع عدولا عن النصب في الموطن التالي:

- **المعطوف على اسم "إن":**

وحكم المعطوف على اسم إن النصب كما هو معروف نحو قراءة ابن كثير **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ " (المائدة:69)**، بالياء منصوب على العطف على اسم إن (الذين) وظاهرة الإعراب يقتضي أن يقال كذا إلا أن العرب قد توسعت في إعراب المعطوف على اسم إن من النصب إلى الرفع وذلك في **قوله تعالى:**"... **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ**" حيث رفع الصابئون بالواو وهو المعطوف على اسم إن على خلاف الأصل وللنحاة آراء منها:

- ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل:"... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ والصابؤون" كذلك فحذف خبره[2].

- أنه مرفوع معطوف على موضع اسم إن لأن قبل دخول إن كان في موضع رفع[3].

- أنه مرفوع معطوف على الضمير المرفوع في هادوا.

---

[1] - الزمخشري: الكشاف، مطبعة محمد مصطفى، القاهرة، 1308هـ، ج4، ص 627.

[2] - أبو حيان: بحر المحيط، ط1، دار الفكر والسعادة، 1328هـ، ج3، ص 531.

[3] - مرجع سبق ذكره، ج، ص 531.

– أن تكون بمعنى نعم حرب جواب وما بعده مرفوع بالابتداء وعلى هذه الوجوه فلا عدول عن النّصب إلى الرفع وإنما جاء العدول من مخالفة مقتضى الظاهرة في الإعراب[1].

ت-2- العدول عن الرفع إلى النصب:

من المسلم به استعمال الرفع في أبواب المبتدأ والخبر وبعض معمولات النواسخ والفاعل ونائبه وبعض أحوال التوابع لكن نجد النصب في بعض الحالات في هذه المسائل المشهورة بالرّفع عدولا عن الأصل لأسباب لعل أهمها تتمثل فيما يلي:

- المعطوف على المرفوع:

مثل **قوله تعالى:**" **... لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ** " **(النساء: 162)**، حيث ورد المقيمين المنصوب بالياء عطفا على المؤمنون المرفوع عدولا عن الرّفع إلى النصب وللنحاة فيه آراء منها:

– المقيمين منصوب على المدح أي أعني المقيمين وقيل التعظيم وقيل أنه معطوف على ما وقيل معطوف على الضمير على منهم وعليه فلا عدول وقيل منصوب على العطف على الكاف من قبلك أو في إليك وأرجح هذه الأقوال هو النصب على المدح[2]، وقيل هذه الآية محتملة وليست متعينة للعطف على الضمير المجرور كما شرحنا ذلك والكثير في القرآن هو إعادة الخافض سواء كان حرف **كقوله تعالى:**"**... قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ**" **(الأنعام:64)**، أو اسما **كقوله:**" **قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ**" **(البقرة: 133)**[3] .

المبحث الثاني: العدول في العدد في النص القرآني

إن ظاهرة العدول من أكثر الظواهر البلاغية ترددا، وأوسعها انتشارا في القرآن، الكريم، واشتملت أغلب صور تلك الظاهرة على أسرار وقيم لم يهتد إليها إلا كل ذي حظ عظيم.

---

[1] – الزمخشري: الكشاف، مطبعة محمد مصطفى، القاهرة، 1308هـ، ج1، ص 582.

[2] – المرجع نفسه: ج1، ص 582.

[3] – الكريم محمد عبد الخالق: دراسات أسلوب القرآن، مطبعة السعادة، د1، ص 547.

ولكون تلك الظاهرة واسعة جدا لا تحيط بها إلا دراسات عدة، لذا أليت الاقتصار على صورة واحدة من صورها، فكان الاختيار(العدول في العدد في النص القرآني)، إذ أنه يمثل انحرافا أسلوبيا عن مسار الخطاب المألوف، وهو بذلك يحقق تفعيلا بلاغيا للخطاب بشكل عام، والخطاب القرآني بشكل خاص، وتنبثق منه بني دلالية عميقة تسهم في تنشيط وعي المتلقي لأهميته البلاغية ضمن قنواته التواصلية.

لذلك نلاحظ أن القرآن الكريم يتوجه بالمتلقي إلى التأثير والدهشة السريعة والمباشرة، وهذا منسجم مع العقلية الإنسانية التي يخاطبها ليخدم الهدف من تنزيله من عند رب رؤوف بعباده يهدف إلى هدايتهم للإيمان والحق بأقصر الطرق.

وقد استهواني الخوض في مضمار القرآن الكريم لدراسة هذه الظاهرة في عدد من السور القرآنية، عارضا لآراء المفسرين، كاشفا عن أسرارها و مستجلا قيمها في النص القرآني.

ولا اقصد بهذه الدراسة العدد الرياضي بل تركزت الدراسة على عود ضمير التثنية على المفرد، أو ضمير الجمع على التثنية وهكذا.

1- العدول بين الإفراد والتثنية:

1-1- من الإفراد إلى التثنية:

ومن تلك المواطن قوله تعالى:**(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (المائدة:64).**

نلاحظ أن لفظة (اليد) في النص القرآني وردت في المرة الأولى مفردة على ألسنة اليهود، ومن ثم ثنيت لدحض هذه الفرية، وفي ذلك عدول جليّ من الإفراد إلى التثنية.

اليد: تذكر في اللغة على خمسة أوجه: الجارحة، والنعمة، والقوة، والملك، وتحقيق إضافة الفعل[1]، ولكن الحق أن اللفظة موضوعة في الأصل للجارحة، وإنما استعملت في غيرها من المعاني على نحو الاستعارة لكونها من الشؤون المنتسبة إلى الجارحة نوعا من

[1] - ينظر: العين مادة (يدي): ص 101- 103.

الانتساب كانتساب الإنفاق و الجود إلى اليد من حيث بسطها، وانتساب الملك إليها من حيث التصرف والوضع والرفع وغير ذلك. فما يثبته الكتاب والسنة لله سبحانه من اليد يختلف معناه باختلاف الموارد[1].

ولتعليل هذا العدول نجد أكثر المفسرين يشيرون إلى أن اليهود قد جعلوا قولهم :(يد الله مغلولة) كناية على نسبة البخل إلى الله تعالى – تنزه عن ذلك– فأجيبوا بطريق الكناية :(بل يداه مبسوطتان) بثنية اليد ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ في الدلالة على إثبات غاية السخاء له سبحانه وتعالى، أي ليس الأمر على ما وصفتموه من البخل، بل هو جواد على سبيل الكمال[2]، وربما يستفاد من نحو قوله تعالى:" **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**" **(ص:75)**، لما فيه من الإشعار أو الدلالة على إعمال كمال القدرة، ونحو قولهم :" لا يدين بها لك" فإن ذلك مبالغة في نفي كل قدرة ونعمة[3].

ويضيف صاحب كتاب الانتصاف ملاحظا دقيقا في توجيه دلالة التحول من الإفراد إلى التثنية في الآية الكريمة فيقول: (لما كان المعهود في العطاء أن يكون بإحدى اليدين وهي اليمين، وكان الغالب على اليهود لعنة الله عليهم اعتقاد الجسمية جاءت عباراتهم عن اليد الواحدة المألوف منها العطاء، فبين الله تعالى كذبهم في الأمرين، في نسبة البخل إلى الله بأن ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسيط، وفي إضافته إلى الواحدة تنزيلا منهم على اعتقاد الجسمية، وذلك بأن إضافة اليدين جميعا، لأن كلتا يديه يمين كما ورد في الحديث تنبيها على نفي الجسمية، إذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت إحدى اليدين يمينا والأخرى

---

[1] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 33/6

[2] – ينظر: التفسير الكبير: 46/12، التبيان للطوسي:3/ 581، الكشاف: 1/ 351، مجمع البيان: 3/ 378، إرشاد العقل السليم:3/ 58، البحر المحيط: 3/ 524، الميزان في تفسير القرآن: 6/ 33.

[3] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 33/6

شمالا ضرورة، فلما أثبت أن كلتيهما يمين نفى الجسمية وأضاف الكرم إليهما، لا كما يضاف في الشاهد إلى اليمنى خاصة إذ الأخرى شمال وليست محلا للتكرم)[1].

ومن النصوص القرآنية الأخرى التي حصل فيها عدول من الإفراد إلى التثنية قوله تعالى: **(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) (يونس:78)**.

موضع العدول في النص القرآني هو في قوله تعالى **(لكما)** في الموضعين، وقد عدل فيها إلى لفظ المثنى إذ كان السياق المتوقع أن يكون (لك) على صيغة المفرد لأنه سبق بخطاب المفرد في قوله تعالى **(أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا)** وذُكِر في فائدة هذا الالتفات أن الكبرياء شامل لهما (عليهما السلام) وتصديق أحدهما يستلزم تصديق الآخر، وأما إسناد المجيء والصرف فكان لموسى (عليه السلام) خاصة لكونه المقصود بالرسالة وهو المبلِّغُ شَرْع الله.

قال التنوخي:(خاطبوا موسى أولا لأنه الأصل في الرسالة، وهارون وزيره، ثم جمعوا بينهما في الخطاب لاشتراكهما في الرسالة وإن موسى هو الأصل تنبها على مرتبتها)[2].

وقال أبو السعود: (وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما (عليهما السلام) واستلزام التصديق لأحدهما التصديق للآخر. وأما اللفت والمجيء له فحيث كان من خصائص صاحب الشريعة أسند إلى موسى (عليه السلام) خاصة)[3].

وقال الشوكاني:(وقد أفرد الخطاب لموسى في قولهم) (أجئتنا لتلفتنا) ثم جمعوا بينه وبين هارون في الخطاب في قولهم (وتكون لكما الكبرياء في الأرض1 وما نحن لكما بمؤمنين) ووجه ذلك أنهم اسندوا المجيء والصرف عن طريق آبائهم إلى موسى لكونه

---

[1] – كتاب الانتصاف: ذيل الكشاف: 1/ 351–352، وينظر: تفسير غريب القرآن: 341، التفسير الأصفى– الفيض الكاشاني 274/1

[2] – الأقصى القريب: 47، وينظر: فن الالتفات في البلاغة العربية 40.

[3] – إرشاد العقل السليم 29/4

المقصود بالرسالة المبلغ عن الله ما شرعه لهم، وجمعوا بينهما في الضميرين الآخرين لأن الكبرياء شامل لهما في زعمهم ولكون تورك الإيمان بموسى يستلزم ترك الإيمان بهارون)[1].

1-2- من التثنية إلى الإفراد:

ومن ذلك قوله تعالى :(**قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ* فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ*أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الشعراء 15-17).**

حيث وردت لفظة (رسول) مفردة، مع أن ظاهر السياق يقتضي تثنيتها (فقولا إنَّا).

ومما زاد الإشكال في هذا العدول أن القصة ذاتها وردت في سياق آخر من القرآن بالتثنية، وذلك في قوله تعالى: **(فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (طه: 47).**

فقد تساءل المفسرون عن سر إفراد لفظة (رسول) في آية الشعراء وتثنيته في آية طه، وانبرى عدد منهم للإجابة عن هذا التساؤل كما يأتي:

أولا: ما ذهب إليه الطبري موجها ذلك بأنه أراد به المصدر (من: أرسلت، يقال: أرسلت رسالة ورسولاً كما قال الشاعر[2]:

لقد كذبَ الواشون ما بحتُ عندهُمْ

بسرّ ولا أرسلتهم برسولِ

يعني: رسالة[3]، واختاره الطوسي مشيرا إلى أن (الرسول) قد يكون بمعنى الجمع[4].

ثانيا: يجوز أن يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة و اتحادهما لذلك وللأخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد[5].

وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي إلا أنه لا يجيب عن التساؤل المطروح في سر التثنية في الآية الأولى والإفراد في الآية الثانية.

---

[1] - فتح القدير 465/2.

[2] - البيت بلا نسبة، ينظر: لسان العرب: 283/11، مادة - رَسَلَ-

[3] - جامع البيان 65/19 وينظر: 158/26 ومعالم التنزيل 382/3

[4] - ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 11/8، ومجمع البيان: 7/ 324، الميزان في تفسير القرآن: 5/ 260

[5] - ينظر: الكشاف: 3/ 107، التبيان في إعراب القرآن 127/2.

ويشير صاحب كتاب فن الالتفات إلى أن السر يرجع إلى (اختلاف السياق في كل من السورتين عنه في الأخرى، فكل من الآيتين الكريمتين قد سبقت في سياقها بإعلان الخوف من بطش فرعون وطغيانه، غير أن هذا الإعلان قد ورد في سورة طه على لسان الرسولين موسى وهارون (عليهما السلام) ومن ثم جاءت لفظة (رسول) مثناه لبعث الطمأنينة والثقة في قلبيهما واقتلاع جذور الخوف من نفسيهما معا:

(قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ* قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ *فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ) (طه: 45 – 47).

2- العدول بين الإفراد والجمع:

2-1- من الإفراد إلى الجمع:

ومن ذلك قوله تعالى: **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) (البقرة: 17).**

نجد أن الآية الكريمة تضمنت عدولين: أحدهما في اللفظ في قوله تعالى:**(بِنُورِهِمْ)** وكان حق السياق أن يؤتى بلفظ (بضوئهم) لينسجم مع ما قبله في قوله تعالى: **(فَلَمَّا أَضَاءَتْ)**، وتم تعليل ذلك بأن (ذكر النور في حالة النفي أبلغ من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة، فلو قال: ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطي ذهاب تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نورًا، لأن الإضاءة هي فرط الإنارة قال الله تعالى **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا) (يونس: 05)**، فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً، فالغرض من قوله تعالى **(ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)** إنما هو إزالة النور عنهم أصلا فهو إذا أزاله فقد أزال الضوء)[1].

وأضاف البيضاوي ملاحظات آخرى بقوله:(إنما قال**(بِنُورِهِمْ)** ولم يقل: بنارهم: لأنه المراد من إيقادها، أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول: ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد قد انطفأت ناره)[2].

[1] – المثل السائر 29/2 وينظر: 387/1 والإيضاح في علوم البلاغة 235/1

[2] – أنوار التنزيل 190/1 وينظر: زاد المسير 39/1 ومدارك التنزيل 22/1 وإرشاد العقل السليم 50/1 وروح المعاني 164/1.

أما الموضع الثاني من العدول فهو العدول في العدد في قوله تعالى **(بِنُورِهِمْ)** إذ جاء بلفظ الجمع مع أن السياق كان في المفرد بلفظ **(الذي)** وكان حق السياق أن يقال: (بنوره)، لكنه عدل إلى الجمع.

أخذ عدد من المفسرين يعللون هذا العدول تعليلا لغويا، مشيرين إلى أنه يجوز في اللغة وضع **(الذي)** موضع **(الذين)** كقوله تعالى **(وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) (التوبة:69)** وإنما جاز ذلك، لأن (الذي) لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة مجملة، ولكثرة وقوعه في كلامهم، ولكونه مستطالا بصلة فهو حقيق بالتخفيف، ولذلك أعلوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا فيه على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين، وهو مذهب الرازي في احد أرائه[1]، والزمخشري في كشافه[2] الذي أكد أن (الذي) استخدمت في لفظ المفرد والجمع للسبب أعلاه وسبب آخر هو: (أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون، وإنما ذاك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصلات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد)[3]، وأيدهما العكبري في التبيان[4].

ومن تلك المواطن أيضا قوله تعالى :(**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ*لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: 99-100).**

موضع العدول في قوله تعالى: **(ارْجِعُونِ)** بلفظ الجمع والمتكلم واحد والمخاطب واحد، مما دفع المفسرين إلى محاولة تعليل هذا العدول، فمن ذلك:

أولا: أنه جرى على تعظيم الذكر في خطاب الواحد بلفظ الجمع لعظم القدر أي أن الخطاب للرب تعالى والجمع للتعظيم كقول إمرأة فرعون له على ما حكاه الله :" قرة عين لي ولك لا تقتلوه" وكما قال تعالى" إنا نحن نزلنا الذكر" وكقوله تعالى :"ألم تر أن الله انزل من السماء

---

[1] – مفاتيح الغيب 311/3

[2] – الكشاف 194/1

[3] – الكشاف 194/1

[4] – التبيان في إعراب القرآن 20/1.

ماء فأخرجنا" وقوله تعالى :(**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ**) (**يس:12**)، وهو مذهب النحاس[1]، والطوسي[2] والبغوي[3]، والزمخشري[4]، والطبرسي[5]، والقرطبي[6]، وذهب القيسي إلى مثل هذا أيضا إذ قال: (إنما جاءت المخاطبة من أهل النار بلفظ الجماعة، لأن الجبار عبر عن نفسه بلفظ الجماعة، فخوطب بالمعنى الذي يخبر هو به عن نفسه)[7]

3- العدول بين التثنية والجمع:

3-1- من التثنية إلى الجمع:

ومن تلك النصوص قوله تعالى: (**هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ**) (**الحج: 19-21**).

حيث اسند فعل الاختصام إلى ضمير الجماعة (اختصموا) لا إلى ضمير التثنية (اختصما) الملائم لظاهر السياق، واختلف المفسرون في سر العدول الحاصل في النص وكانت آراؤهم كالآتي:

أولا: الحمل على المعنى في الجمع وهو رأي الفراء[8]، وأيده الطوسي الذي أشار إلى أن المراد بقوله: (اختصموا): ما يختصمون فيه أو أراد بالخصمين القبيلتين وخصومهم[9]، وأيدهما الزمخشري أيضا بقوله: (الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفرق، فكأنه قيل: هذان

---

[1] – معاني القرآن 113/3.

[2] – التبيان في تفسير القرآن: 393/7

[3] – معالم التنزيل 417/3

[4] – الكشاف: 42/3

[5] – مجمع البيان: 149/12

[6] – الجامع لأحكام القرآن 149/12

[7] – مشكل إعراب القرآن 505/2

[8] – معاني القرآن: 219/2، إعراب القرآن لابن النحاس: 86/3

[9] – ينظر التبيان في تفسير القرآن: 7: 302.

فوجان أو فريقان مختصمان، وقوله (هذان) للفظ، و(اختصموا) للمعنى)[1]. وإلى مثل هذا أشار الطبرسي[2] والرازي[3] والعكبري[4] وأبو حيان[5].

ولعل الملاحظ على هذا الرأي أنه لم يتجاوز نطاق تبرير الظاهرة أو تسويغها لغويا عن طريق القول إنها من باب الحمل على معنى (اختصموا) بعد الحمل على اللفظ (هذان خصمان)، أما سر المزاوجة بين الحملين أو علاقتها بالسياق الذي وردت فيه الآية الكريمة فإن ذلك ما لم يدر بخلدهم التوقف للبحث عنه.

ثانيا: ذهب صاحب (معالم التنزيل) إلى أن (الخصم) اسم شبيه بالمصدر فلذا جيء بلفظ الجمع ، إذا قال:(هذان خصمان اختصموا في ربهم.أي جادلوا في دينه وأمره، والخصم اسم شبيه بالمصدر فلذالك قال اختصموا بلفظ الجمع)[6].وأيده الطبرسي مشيرا إلى أن (الخصم: يستوي فيه الواحد والجمع، والذكر والأنثى يقال: رجل خصم، ورجلان خصم، ورجل خصم، ونساء خصم، وقد يجوز في الكلام: هذان خصمان اختصموا، وهؤلاء خصم اختصموا.

قال الله تعالى(**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**)**(ص:21)** وهكذا حكم المصادر إذا وصف بها، أو أخبر بها، نحو عدل ورضي وصوم وفطر وزور وحري وقمن، وما أشبه ذلك)[7].

3-2-من الجمع إلى التثنية:

ورد عدد من النصوص القرآنية عدل فيها من الجمع إلى التثنية ومن تلك النصوص التي لفتت أنظار المفسرين قوله تعالى:(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) **(الحجرات:10).**

---

[1] – الكشاف 9/3 وينظر: تفسير ابن كثير 213/3

[2] – مجمع البيان: 139/7.

[3] – مفاتيح الغيب 214/23

[4] – التبيان في إعراب القرآن: 3: 141.

[5] – البحر المحيط 7/ 482.

[6] – معالم التنزيل 3/ 279 وينظر: تفسير الجلالين 435/1.

[7] – مجمع البيان: 139/7.

موضع العدول هو في قوله تعالى(**أَخَوَيْكُمْ**) بلفظ المثنى وكان ظاهر السياق يقتضي أن يقال(إخوتكم أو إخوانكم)، بلفظ الجمع.

وقد تنبه إلى هذا العدول أغلب المفسرين، وحاولوا توجيهه بما يتلاءم وظاهرة السياق، وكانت أراء المفسرين كالأتي:

أولا: اختار القسم الأول أن اقل من يقع بينهم الشقاق والتخاصم اثنان، فإذا لزمت المصالحة بين اثنتين كانت بين الأكثر ألزم، لذلك جيء بضمير الجمع مع (الإصلاح).

وأول من أشار إلى هذا القول الزمخشري مشيرا إلى أن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين، لذلك حصل العدول[1]، وأيده أبو حيان[2] والثعالبي[3].

ثانيا:اختار البيضاوي أن الآية من باب وضع الظاهر موضع المضمر للمبالغة في التقرير و التخصيص وخص الاثنين بالذكر،لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق[4]. وأيده أبو السعود[5] الألوسي[6] في ما ذهب إليه.

ثالثا: أما القسم الثالث فحمل الآية الكريمة على المعنى، إذا أن المراد ب(أخويكم) الطائفتان اللتان مر ذكرهما في أية سابقة **(وإن طائفتان من المؤمنين) (الحجرات:9)** وأول من أشار إلى هذا الرأي أبو علي الفارسي، إذا قال:(أراد بالأخوين الطائفتين لأن لفظ التثنية يرد و المراد به الكثرة)[7]،وأيده الطبرسي في مجمعه[8]، والسيد الطباطباني في ميزانه[9].

ويبدو أن الآراء جميعها مقبولة ويمكن حمل النص القرآني عليها، إلا إن أرجحها هو الرأي الأول للمعنى الذي تضمنه.

---

[1] – الكشاف 565/3

[2] البحر المحيط 508/9

[3]– الجواهر الحسان 188/4

[4] – أنوار التنزيل 216/5

[5] – إرشاد العقل السليم 120/8

[6] – روح المعاني 151/26.

[7] – الجامع لأحكام القرآن 323/16، وينظر: أنوار التنزيل 216/5

[8] – ينظر: مجمع البيان: 222/9

[9] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 315/8.

ومن تلك النصوص أيضا قوله تعالى: **(إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ) (ص:22)**

إذ عدل في النص القرآني عن ضمير الجمع (دخلوا) إلى الاسم المثنى (خصمان)، وقد اتفق المفسرون على أن المراد ب (خصمان) الفريقان أو الفوجان فنجد الطوسي يقول: (والخصم هو المدعي على غيره حقا من الحقوق المنازع له فيه، ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد، لأن أصله المصدر. فتقول: رجل خصم، ورجلان خصم، ورجال خصم ولذلك قال (إذ تسوروا المحراب) (ص:21) لأنه أراد المدعي والمدعي عليه ومن اتبعهما، فلا يمكن أن يتعلق به في أن أقل الجمع اثنان، لما قال " خصمان بغي بعضنا على بعض" لأنه أراد بذلك الفريقين)[1]، وأيده أبو السعود في تفسيره[2]، ونسب هذا الرأي للخليل بن أحمد الفراهيدي[3].

وذهب أحد المحدثين إلى أنهما كانا ملكين وإنما جيء بالخصمين على المثل: (أي نحن فريقان خصمان، أي يقول ما يقول خصمان، لأنهما كانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا بغي أحدهما على الآخر، وإنما هو المثل)[4].

وذهب الألوسي إلى ذكر وجوه عدة يمكن أن تحمل الآية عليها، إذ يقول: (وجوز أن يكون المراد اثنين والضمائر المجموعة مراد التثنية فيتوافقان، وأيد بقوله سبحانه(إن هذا أخي)(ص:23)، وقيل: يجوز أن يقدر (خصمان) مبتدأ حبره محذوف، أي فينا خصمان، وهو كما ترى، والظاهر أن جملة بغي الخ في موضع الصفة ل (خصمان)، وأن جملة (نحن

---

[1] – التبيان في تفسير القرآن:515/8.

[2] – ينظر: إرشاد العقل السليم 220/7.

[3] – ينظر : إعراب القرآن للنحاس 417/3

[4] – فقه القرآن: القطب الراوندي: 10/2، وينظر: الميزان في تفسير القرآن: 192/7.

الخ) استئناف في موضع التعليل للنهي، فهي موصولة بلا تخف وجوز أن يكونوا قد قالوا لا تخف وسكتوا حتى سئلوا ما أمركم فقالوا: خصمان بغي الخ، أي جار بعضنا على بعض)[1].

4- العدول في العدد

4-1- الحمل على المعنى:

أولا: مخاطبة الاثنين بلفظ واحد:

فالأصل هو التعبير عن الاثنين بلفظ الاثنين، هذا هو القياس وما خرج عن هذا القياس فهو عدول، ومن ذلك **قوله تعالى:**"... **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ**" **(البقرة:61)**، حيث "وصف الطعام بواحد، وإن كان طعامين اثنين(المنّ و السلوى) اللّذان رزقوهما التيه، فقد نزل القول بأنه عبر بالواحد عن الاثنين، كما عبر بالاثنين عن الواحد، في **قوله تعالى:**" **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**" **(الرحمان:22)**، وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح العذب[2]، والمسوغ في ذلك هو الحمل على المعنى والمعنى في ذلك أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من ملح فقط وليس من الماء العذب أي من أحدهما وهو الملح. بمعنى أن "(المن والسلوى) طعام واحد لا يتبدّل ولا يختلف بحسب الأوقات أو باعتبار كونه ضربا واحدا، لأنه قيل: إنهم كانوا يطبخونها معًا، فيصير طعامًا واحدًا وقد يراد بالواحد (السلوى) لآن (المنّ) كان شرابًا، أو شيئا يتحلون به، فلم يعدّوه طعامًا آخر"[3].

كذلك الحمل على المعنى يظهر هنا في المنّ والسلوى كانا مختلفين، فالسلوى كان طعامًا، والمن شرابًا أو ما شابه ذلك في المعاني المطلقة عليها **قال تعالى:**" **على طعامٍ واحدٍ**" دون:" قوله على طعامين اثنين، وهذا ما يظهر من جهة أخرى أن اللغة العربة تزخر بالمعاني الخفية التي ينبغي التعرف عليها، خاصة عند قراءة القرآن الكريم، فالمعاني فيه أثرى وأعظم وأكثر زخرًا.

---

[1] – روح المغاني: 179/23.

[2] – أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم في السبع المثالي، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414 هـ، 1994م، ص 433.

[3] – المرجع نفسه/ ج1، ص 433.

1- ويقول تعالى كذلك في الآية:" إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ" (البقرة:68)، قال "بين ذلك" و "بين" لا تصلح إلا مع اسمين فما زاد. وإنما صلحت مع "ذلك" وحده لأنه في مذهب اثنين،والفلان قد يجمعان " ذلك" و "ذاك" ولو قال في الكلام: "بين هاتين" أو "بين تينك" فهو يريد " الفارض والبكر" كان صوابا، ولو أعيد ذكرهما لم يظهر إلا لأنهما اسمان ليس بفعلين[1].

فكيف جاز أن يشار إلى مؤنثين، وإنما هو الإشارة إلى واحد منكر؟ " جاز ذلك في الكلام للاختصار، كما جعلوا فعلا نائبا عن أفعال جمة، تذكر قبلا تقول للرجل مثلا: نِعّمَ ما فعلتَ، وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة"[2].

فالشاهد في الآية الكريمة **قوله تعالى:" بين ذلك**" وقد كان قد ذكر قبل ذلك شيئين "وبين" يقتضي شيئين فأكثر، إلا أنها دخلت على "ذلك" والأصح أو القياس نحويا أن يقال :" بين هاتين" إلا أن الحمل على المعنى هو الذي سوّغ هذا العدول، حيث أن "ذلك" في المعنى تشير إلى كلّ من البكر والفارض.

2- ومن خطاب الاثنين بلفظ الواحد **قوله تعالى:" وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ" (البقرة:45)** فالشاهد في الآية الكريمة قوله تعالى:" وإنها" رغم أن ما سبقها اسمين اثنين وهما الصبر والصلاة، فكان القياس أن يقال:" وإنهما" ، " فلأنه حمل الكلام على معنى الصلاة، وهذا الكلام منه ما يحمل على الأول، ومنه ما يحمل على الآخر وأقيس هذا وإذا ما كان بالواو أن يحمل عليهما جميعا"[3]، وقد يكون قصد ب "وإنما" الاستعانة فكأن تقدير الكلام: واستعينوا بالصبر والصلاة وإن الاستعانة بهما لكبيرة إلا على الخاشعين والله أعلم.

---

[1] - أبو زكريا بن زياد: بن عبد الله الفراء، معاني القرآن، ج1، ط1، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002م، ص 42.

[2] - أبو القاسم جار الله محمود بن الزمخشري: تفسير الكشاف، التوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ، 2003م، ص21، ص81.

[3] - المرجع نفسه، ص 81.

3- كذلك **قوله تعالى :" أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ" (البقرة:259).**

أما الجزء الثاني من الآية الكريمة، فقد عدل عن المثنى إلى المفرد. وذلك في قوله تعالى:" لم يتسنه" فالضمير في "يتسنه" للمفرد وقد تقدمه اثنان وهما " الطعام والشراب" فيجوز أن يكون عائد عليهما. لأنهما كالشيء الواحد وتلازمهما، وعدم الاستغناء عن أحدهما.

والحقيقة أن الجملة من حيث المعنى هي صحيحة، حيث أن الطعام يؤكل والماء يشرب فإذا قلنا مثلا. جئت بماء وطعام فأكلتهما، فظاهره خاطئ، لأن الذي يؤكل هو الطعام فقط. وإنما تقول: فأكلتهما.

لهذا جاءت الآية الكريمة "لم يتسنه"على معنى الطّعام،لأن الماء لا يفسد بينها الطعام يفسد، يعني لم يبقى فيه ما يؤكل.

هذا عن سورة البقرة، فيما يخص التعبير عن المثنى بالواحد، أما سورة آل عمران فقد خلت من هذا النوع من العدول، بينما سورة النساء نجد **قوله تعالى:" وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا" (النساء:112).**

يقال: كيف "قال" به " وقد ذكر الخطيئة والإثم وذلك جائزا أن عن الفعلين بالواحد لأن الأفاعيل يقع عليها فعل واحد، فلذلك جاز، إن شئت ضممت"الخطيئة" إلى"الإثم" فجعلته كالواحد، و إن شئت جعلت الهاء للاثم خاصة"[1].

فالشاهد في قوله تعالى:" ثم يرمي به " فجعل الضمير عائدا على المفرد وهو ذكر من قبل شيئين وهما:" الخطيئة والإثم" وفي ذلك عدول عن الأعراف النحوية، حيث يجوز التعبير عن المثنى.

[1] – الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 198.

5- **قوله تعالى :" وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ" (النساء:152)**."دخلت" بين "على" أحد" وهي الأصح نقيض شيئين فصاعدا، ذلك لأن أحد عام في الواحد والجمع تقول:ما رأيت أحد فتقصد العموم" [1] فجاءت لفظة "بين" في الصيغة المفرد. والأصل أنها تجمع شيئين، وذلك لأن "بين" تقع على الواحدة والجمع، والمسوغ في ذلك هو الحمل على المعنى، فعبر عن الاثنتين بلفظ الواحد "أحد".

قال تعالى :"وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ" (النساء:12). روى عمر بن الخطاب **أن** الكلالة من لا ولد له خاصته" [2] .

قال أهل اللغة رجلا كلالة وامرأة كلالة، ولا يثنى ولا يجمع، لأنه مصدر كالوكالة و الدلالة والسماحة و الشجاعة، و أعادة ضمير مفرد في قوله تعالى:" وله أخ" ولم يقل "لهما" ومضى ذكر الرجل والمرأة على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما و كان في الحكم سواء ربما أضافت إلى أحدهما وربما أضافت إليهما جميعا، تقول: من كان عنده غلام وجارية فليحسن إليها و إليهم **كقوله تعالى:"...وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ" (البقرة:45)** و **قال تعالى:"إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا" (النساء :135)** .

و يجوز أولى بهم عند الفقراء.و هذا ما سنجده عند الحديث عن التعبير بالجمع عند الاثنين"[3]

ثانيا:مخاطبة الجماعة بلفظ الواحد:

فالمطابقة في العربية والقياس أن يعبر بالجمع بلفظ الجمع،والعدول يظهر في أنه عبر بالجمع عن لفظ الواحد و يظهر ذلك في الآيات التالية:

---

[1]- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص268

[2]- :أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن . ج5 دار الكتاب العلمية ، لبنان ، 1414هـ ،1996م ،ص51.

[3]- المرجع نفسه ، ج5 ، ص58

1- قوله تعالى:"... **وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**" **(التوبة:69)**. بمعنى وخضتم كالذين خاضوا،الذي سوغ وضع "الذي" موضع "الذين" ولم يجز وضع القائم موضع القائمين، ولا نحوه من الصفات أمران :

أحدهما: أن "الذي" يكون وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلة حقيق بالتخفيف، وذلك نهكوا بالحذف، فحذفوا ياءه ثم كسرته، ثم اقتصروا به على اللاّم وحدهما في أسماء الفاعلين و المفعولين .

والثاني: أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو و النون. وإنما ذلك علامة بزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر المواصلات لفظ الجمع و الواحد فيهن و أحد، أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع، أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين بقصة المستوقد"[1].

-**وفي قوله تعالى:**" **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**" "قد يرجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين، و قد يكون مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع، وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في "حوله" فالحمل على اللفظ تارة وللحمل على المعنى تارة أخرى"[2].

فقد جاء اللفظ "الذي" على صيغة المفرد، و هو في الأصل أن يكون جمعا، فيقول "الذين" عوض"الذي" و هو عدول عددي لأن "الذي" وضع موضع "الذين" والضمير في **قوله تعالى** :"بنورهم" قد يعود إلى المنافقين، و قد يكون مرجعه الذي استوقد، و في ذلك حمل على المعنى.

3- ومن صيغ التعبير عن الجماعة بلفظ الواحد كذلك **قوله تعالى** :" **وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" **(البقرة:20)**.

"فجعل" السمع" في لفظ الواحد وهو جماعة لأن السمع قد يكون جماعة وقد يكون واحدا مثل **قوله تعالى** :" **خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ**" **(البقرة:07)**

---

[1]-الزمخشري . لكاشف . ص51 .

[2]- الزمخشري . لكاشف . ص51.

ومثل **قوله تعالى :" لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ" (ابراهيم:43)**[1] .

جاءت لفظة "السمع" على صيغة المفرد. وهي في الأصل تدل على الجمع. ومسوغ ذلك هو الحمل على المعنى. لأن السمع في المعنى قد يكون جماعة .

4- وفي **قول العزيز الحكيم:"وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ" (البقرة:41).** فوحد "الكافر" و قبله" جمع":"وذلك كلام العرب الفصيح جيد في الاسم إذا كان مشتق من فعل مثل الفاعل و المفعول، ويراد به (و لا تكونوا أول من يكفر) فتحذف "من".

و يقوم الفعل مقامها، فيؤدي الفعل على مثل ما أدت "من"عنه" من التأنيث والجمع وهو في لفظ التوحيد ولا يجوز في مثله من كلام أن يقول: أنتم أفضل رجل ولا أنتما خير رجل، لأن الرجل يثنى ويجمع، ويفرد، فيعرف واحد من جمعه، و "لمن" فيؤدي" عنهما" و هو موحد. ألا ترى أنك قد تقول "الجيش مقبل والجند منهزم فنوحد الفعل لتوحيده: فإذا صرت إلى الأسماء، الجيش رجال و الجند رجال"[2]

فالشاهد في قوله تعالى :" ولا تكونوا أول كافر به". فجاء الفعل على صيغة الجمع" وكافر" على صيغة المفرد. فعدل بذلك عن القياس من الجمع إلى المفرد" كافر" والمسوغ هنا الحمل على المعنى: لأن "كافر" على وزن "فاعل" يعمل عمل فعله. حيث يمكننا القول " أول كافر به".

ثالثا: التعبير عن الواحد بلفظ الجمع:

فالأصل هنا أن يخاطب أو يعبر عن الواحد بلفظ الواحد فعدّل عن هذا الأصل، فعبر عن المفرد بلفظ الجمع ونلمس ذلك من خلال الآيات التالية:

---

[1] – ينظر الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص179.

[2] – المرجع نفسه.ج1، ص 197.

[2] – المرجع نفسه.ج1، ص 197.

1- قال عزّ من قائل في سورة البقرة:" ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ" (البقرة:29)." الضمير هنا "هن" السماء إن فسرت، وجاز أن يرجع إليها على أنها جمع أو مؤولة به"[1].

فالقارئ والمتمعن للآية الكريمة يجد تعميرا (بناء الجملة) مخالفة القياس، حيث أن الله سبحانه وتعالى قال "السماء" ثم قال "سواهن" أليست السماء مفردة "هن" المتصل بالفعل يعود على جمع مؤنث، فالأصل إذن القول "سواها" بناءًا على قوله "السماء".

فالشاهد إذن قوله:" سواهن" " لأنه ذكر سماءً واحدةً، لأن ذكر السماء قد دل عليهن كلهن، وقد زعم بعض المفسرين أن السماء مثل اللبن.فما كان لفظه لفظ الواحد، ومعناه معنى الجماعة جاز أي يجمع. فقال "سواهن" "[2]، فالسماء جاءت في معنى الجمع، وذلك للمعنى المعروف أنها سبع سماوات :" وكذلك الأرض يقع عليها معنى الجمع وهي واحدة الجمع كما يقع عليها (السماء و الأرض) التوحيد و هما مجموعتان"[3].

إذن هنا عدول من المفرد إلى الجمع والمسوغ في ذلك هو الحمل على المعنى.

2- ومن ذلك أيضا **قوله تعالى:" بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة: 112).**

"تقدم مثله والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى "من" كما أن الإفراد في الضمائر الأولى باعتبار اللفظ، ويجوز في مثل هذا العكس، إلا أن الأفصح أن يبدأ بالجمل على اللفظ ثم بالحمل على المعنى لتقدم اللفظ عليه في الإفهام"[4].

جاء في بداية الآية الكريمة الضمير والفعل على الصيغة المفرد. في قوله:" أسام، وجهه، وأجره، وهو، ربه" ثم عدل عن ذلك إلى الجمع فقال:" لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

---

[1] – الألوسي، روح المعاني، ج1، ص 346.

[2] – الأخفش معاني القرآن، ص 184.

[3] – الفراء، نفسه، ج1، ص 197.

[4] – الألوسي، روح المعاني، ج1، ص 568.

والمسوغ هنا الحمل على المعنى أولا (من) ثم الحمل على اللفظ في (إفراد الضمائر) وهذا ما يسميه البلاغيون بالالتفات.

رابعا: التعبير عن المثنى بلفظ الجمع:

فالأصل أن يعبر عن الاثنين بلفظ المثنى لكن عدل عن هذا القياس، فعبر عن الاثنين بلفظ الجمع عوض المثنى فكيف ذلك؟.

1- قال تعالى:" **اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**" **(البقرة:36)**، الله سبحانه وتعالى هنا يخاطب آدم وحواء عندما أزلهما الشيطان ولكنه قال "اهبطوا" فإنما قال اهبطوا- والله أعلم- لأن إبليس كان ثالثهما لذلك جمع"[1]. ولعل مجيء الفعل جمعا دليل على أن ذرية آدم وحواء ستنشأ في الأرض وسيكون بعضهم لبعض عدوا فكان الخطاب موجه للناس جميعا.

فالشاهد في **قوله تعالى:**" **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا**" **(البقرة:36)**، وهو يخاطب آدم وحواء وقد يكون مشار إلى ذريتهما كذلك... الخ فالعدول إذن يظهر بناء على المثنى الظاهر في الآية السابقة لهذه الآية الكريمة والحمل على المعنى هو الذي أجاز الخروج عن هذا الأصل (المثنى) إلى الجمع.

يمكننا أن ندرج في هذا المبحث (العدول في العدد) التعبير عن الجمع بالجمع يبدو أن هذا هو القياس والمتعارف عليه بين جميع النحاة العرب.

ولكن ليس هذا المقصود، إنما المقصود هنا هو التعبير على جمع الكثرة بجمع القلة والتعبير عن جمع القلة بجمع الكثرة.

[1] - الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص 197.

خامسا: التعبير عن جمع الكثرة بالقلة:

قال تعالى:" وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ" (البقرة:22)، أتى بجمع القلة (الثمرات) مع أن الموضع موضع كثرة، وذلك للحمل على المعنى لأن هذا هو المناسب مقارنة لأن هذه الثمار هي أقل قليلة بالنسبة لثمار الجنة، ولما ادخر في ممالك الغيب أو للإشارة إلى أن أجناسها من حيث أن بعضها يؤكل كله و أن بعضها ظاهرها فقط وبعضها باطنها فقط، وهذا ما يشير إلى أنها قليلة لم تبلغ حدة الكثرة، كما ذكر الإمام البيضاوي وغيره. من أنه صاغ هذا الجمع هنا لأنه أراد بالثمرات جمع ثمرة أريد بها الكثرة:" كالثمار" مثلها في قوله: أدركت ثمرة بستانك، وليست التاء للوحدة الحقيقية بل للوحدة الاعتبارية"[1] جاءت كلمة "الثمرات" على صيغة جمع القلة، والأصل فيها أنها تدل على صيغة جمع الكثرة. فحمل على المعنى وفي ذلك عدول عن الأعراف النحوية، وجاءت على لفظ جمع القلة، لأن هذه الثمار قليلة بالنسبة لثمار الجنة في المعنى. أو لأنها جاءت من حيث جنسها بعض يؤكل كله، وبعضها الآخر يؤكل ظاهره أو باطنه فقط، وقال الله سبحانه وتعالى:" وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ" (البقرة:228).

"جاء المذكر على جمع الكثرة دون القلة " قروء" التي هي الأقراء حيث يتسعون في ذلك فيستغلون لكل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية، ألا ترى إلى قوله " بأنفسهن" وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرءٍ من الأقراء"[2].

فالشاهد في قوله تعالى:" قروء" فجاءت هذه اللفظة على وزن "فعول" وهو جمع تكسير يفيد الكثرة، لكنه وضع جمع الكثرة: في موضع القلة، مع العدد "ثلاثة" والقياس أن يقال "أقراء" على وزن "أفعال" فعدل بذلك عن القياس من الكثرة إلى القلة.

---

[1] – الألوسي، روح المعاني، ج1، ث 303.

[2] – الزمخشري، الكشاف، ص 132.

4-2- الحمل على اللفظ:

أولا: مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة:

قال تعالى:" الذين قال لَهُمْ النَاسُ" (آل عمران:173)" الناس في هذا الموضع واحد، هو: نعيم بن مسعود الأشجعي بعثه سفيان وأصحابه فقالوا ثبط محمد صلى الله عليه وسلم أو خوفه حتى يلقانا ببدر الصغرى، وكانت ميعادًا بينهم يوم أحُد، فأتاهم نعيم فقال: قد أتوكم في بلدتكم فصنعوا بكرم ما صنعوا. فكيف يكرم إن أوردتم عليهم في بلدتهم وهم أكثر وأنتم قليل فأنزل الله تبارك و **تعالى قوله "إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ" (آل عمران: 175)**[1].

فالشاهد في قوله "إن الناس" فهذه اللفظة جاءت في صيغة الجمع. لكن المراد بها المفرد، وذلك حملا على اللفظ، لأن لفظة الناس تقع على الواحد والجمع.

و**قال تعالى:" فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا" (النساء:04)**، فقد يجري الواحد مجرى الجماعة لأنه إنما أراد "الهوى" والهوى يكون جماعة"[2]جمعن أن النفس ق\ تعني الهوى وقد يراد بهذا الأخير الجمع.

و**قال تعالى:" وَلا جُنُبًا"(النساء: 43)** في لفظ واحد، وهو للجمع كذلك، وكذلك هو للرجال والنساء كما **قال تعالى "وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ"(التحريم:04)** فجعل " الظهير" واحدا"[3]. فالشاهد في الآية الكريمة قوله "جنبا" فهي لفظة تقع للمفرد والجمع، وهي هنا للجمع، والمسوغ في ذلك هو الحمل على اللفظ:" فالجنب يستوي فيه الواحد والجمع لأنمه اسم مجرد المصدر الذي هو الأجانب"[4].

ومن ذلك أيضا **قوله تعالى :" وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا"(النساء: 69)** "إنما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع، فلذلك

---

[1] - الفراء: معاني القرآن الكريم، ج1، ص 173 - 174.

[2] - الأخفش، معاني القرآن الكريم، ج1، ص 363- 364.

[3] - المرجع نفسه،ج1، ص 374.

[4] - الزمخشري، الكشاف، ص 238.

قال:" وحسن أولئك رفيقا ولا يجوز في مثله من الكلام أن تقول: حسن أولئك رجلا إنما يجوز أن توحد صفة الجمع إذ كان اسما مأخوذا من فعل. ولم يكن اسما صريحا"[1] حيث جاءت لفظة " رفيقا" مفردة وهي صفة للجمع.

ثانيا: مخاطبة الجماعة بلفظ الواحد:

يخاطب الجمع بلفظ الجمع، هذا هو القياس، لكن قد يعادل في العربية هذا القياس، إذ أمكن التعبير عنه الجماعة بالفرد.

1- وذلك في **قوله تعالى:**" **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ**" **(البقر:08)**، "فجعل اللفظ واحد في قوله:" من يقول" ثم قال " وما هم بمؤمنين" فجعل اللفظ جميعا وذلك أن من " اللفظ بها لفظ واحد، ويكون جميعا في المعنى، ويكون اثنين فإذا لفظت بفعله على معناه فهو صحيح، وإذا جعلت فعله على لفظه واحد فهو صحيح"[2].

فالشاهد في قوله تعالى:" من يقول" ثم قال" وما هم بمؤمنين" حيث جاء في الأول على صيغة المفرد ثم صيغة الجمع، وفي ذلك عدول عن القياس، والقياس يقتضي "من يقولون" ففي قوله "من يقول آمنا" مراعاة اللفظ "من" معناه لو راعى الأول فقط لقال:" آمنت" أو الثاني فقط لقال "يقولون" ولما روى جميعا حَسُنَ مراعاة اللفظ أولا إذا هو في الخارج قبل، والواحد قبل الجمع، ولو عكس جاز"[3] فالمسوغ في هذا الشاهد هو الحمل على اللفظ.

2- و**قال تعالى:**" **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**" **(البقرة:17)**. لقد سبق لنا وأن وضحنا في هذه الآية في الحمل على المعنى إلا أن المسوغ الآخر وهو الحمل على اللفظ يظهر بقوة:" حيث أن الضمير "هم" في "نورهم" قد يعود إلى المنافقين وقد يكون مرجعه للذي استوقد، لأنه في معنى الجمع (الذي) وأما جمع هذا

---

[1] – الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 188.

[2] – الأخفش، معاني القرآن ، ج1، ص 160.

[3] – الألوسي، روح المعاني، ج1، ص 235.

الضمير وتوحيده في " حوله" فللحمل على اللفظ تارةً، و على المعنى تارةً أخرى"[1] فالضمير "هم" في نورهم، جمع حملا على اللفظ (الذي).

3-قال تعالى:" وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (البقرة:25) إذا كانت لام الجنس داخله على الفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس، و أن يراد به بعضه إلى الواحد منه.و إذا دخلت على المجموعة صَلُحَ أن يراد به جميع الجنس، وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه.

الشاهد هو"أزواج مطهرة" فأزواج جاءت جمعا. ومطهرة مفرد، فمطهرة مفرد رغم أن أزواج جاءت جمعًا، والمسوغ في ذلك هو الحمل على اللفظ (أزواج) لأن لام الجنس في "لهم" إذا دخلت على الجموع أمكن لنا التعبير عن المفرد (مطهرة) في معنى البعض.

4- وقال تعالى:" وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ" (البقرة 111)" فقد زعموا أن اليهود الجماعة الهائد، والهائد هو التائب الراجع إلى الحق وقال" من كان" فجعله مفردا، لأنه لفظ من الواحد والجمع"[2]. فالشاهد هنا قوله من كان هودا والهود هو الجمع،وقد جاء في الكشاف أن "هودا جاءت على التوحيد الاسم،وجُمِعَ الخبر"نصارى"حيث حمل الاسم على لفظ من، والخبر على معناه"[3] لأن الأصل: كان يهوديا، أو القول كانوا يهودا أو نصارى حيث تقول إجاء الرجال . ولا تقول: جاؤوا الرجال.

5/- وقال سبحانه وتعالى:" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ"(آل عمران 104) فأمة في اللفظ واحد، لكنه جمع.فلذلك قال:"يدعون"[4]فالمسوغ في هذه الآية الكريمة هو الحمل على المعنى،حيث قال:"ولتكن منكم أمة" فأمة تدل على الواحد في اللفظ، وفي المعنى على الجمع.

---

[1] – الزمخشري، الكشاف، ص 51.

[2] – الأخفش ، معاني القرآن، ج1،ص279.

[3] –الزمخشري، الكشاف، ص92.

[4] – الأخفش، المرجع نفسه، ج1،ص349.

المبحث الثالث: تذكير المؤنث حملا على المعنى في القرآن الكريم:

تعد مزاوجة الأسلوب القرآني بين التذكير والتأنيث نوعا من أنوع الترابط النصي، بل تعد أثرا فاعلا في تجلية المعنى، ومغايرة الأسلوب طريقة من طرق العرب في شعرهم ونثرهم فنجدهم لا يستعملون الأصل أو لا تضع العلامة التي ترجع إلى الاسم المحال إليه، ولكنها تغاير فتحدث دورانا في الكلام بين التذكير والتأنيث ، فنجد الإحالة بصيغة التذكير والمحال إليه مؤنثا والعكس حسبما يقتضيه المعنى. والنظم القرآني خير مثال على ذلك فقد ذكّر الفعل في موطن وأنثه في موطن شبيهة به مراعيا في ذلك سياق النص.

فللأسلوب القرآني طريقته في مغاير الإحالات بين التذكير والتأنيث وهذه المغايرة لا تخلو من فائدة أو غرض بلاغي.

وقبل الشروع في عرض الألفاظ المؤنثة الواردة بصيغة المذكر حملا على المعنى ينبغي تفصيل الحديث عن آراء العلماء حول ظاهرة تذكير المؤنث في اللغة العربية.

1- آراء العلماء في ظاهرة تذكير المؤنث:

قال سيبويه (إنما كان المؤنث بهذه المنزلة،ولم يكن كالمذكر، لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد)[1]

وقال أيضا (إنما يخرج التأنيث من التذكير)[2]

ويرى ابن جني أن تذكير المؤنث واسع جدا،في حين أن تأنيث المذكر أمر مستغرب ومستنكر،والسبب في ذلك أن تذكير المؤنث رد فرع إلى أصل ،في حين هو في الثاني حمل أصل على فرع[3] .

[1] – ينظر: الكتاب 3/ 241.

[2] – المرجع نفسه 22/1

[3] – ينظر: الخصائص 415/2.

وأخذ ابن الشجري برأي ابن جني فقال:(وإذا كانوا قد أنثوا المذكر على المعنى فتذكير المؤنث أسهل،لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل على الفرع)[1]

وذهب ابن عصفور إلى أن تذكير المؤنث وتأنيث المذكر لا يحملان على المعنى إلا في ضرورة، فنراه يقول معلقا على قول هشام بن معاوية:

تمت بقربى الزينبين كليهما وإليك قُربى خالد وحبيب[2]

فمن تذكير المؤنث حملا على المعنى لضرورة كأنه قال:(بقربى الشخصين كليهما)[3]

ويرى ابن مالك أن تذكير المؤنث وعكسه لا يكونان إلا على ضرب من التأويل، حيث قال:(ومن إعطاء المذكر حكم المؤنث قول النبي صلى الله عليه وسلم (فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء)[4](والجناح مذكر،ولكنه من الطائر بمنزلة اليد فجاز تأنيثه مؤولا بها)[5]

وذهب الزركشي إلى أن المؤنث يكثر تأويله بمذكر وضرب لذلك أمثلة عديدة،وذكر آراء العلماء وعللهم في الآيات التي ذكر فيها المؤنث[6]

والشيخ خالد الأزهري يرى أن التذكير والتأنيث يجريان على لفظ المعدود، إذا لم يتصل بالكلام ما يقوي المعنى، أو يكثر فيه قصد المعنى أما إذا اتصل بشيء من ذلك فيجوز مراعاة المعنى[7].

2- الألفاظ المؤنثة الواردة بالتذكير حملا على المعنى في القرآن الكريم:

لفظة أسوة بالتذكير في موضعين:الأول: قوله تعالى(**لَقَدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُول اللّهّ أُسْوَة حَسَنَة لِّمَن كَانَ يَرْجُوَ اللّهّ وَالْيَوْم الآخِر وَذَكَر اَّللّهّ كَثِيرا) (الأحزاب:21)** فذكرت لفظة (أسوة)

---

[1] - أمالي ابن الشجري: ص 82.

[2] - البيت من بحر الطويل، ومن شواهد العيني 85/2، وبلا نسبة في شرح الأشموني 85/2.

[3] - المقرب لابن عصفور 239/1

[4] - صحيح البخاري 158/4

[5] - ينظر شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص 84.

[6] - البرهان 3/ 359- 364

[7] - ينظر شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري 271/2.

في الآية الكريمة والشاهد قوله:(كان لكم في رسول الله) حيث جاز حذف تاء التأنيث من الفعل(كان)،وغني عن الذكر أن فاعل الفعل المذكر يطابق المذكر بينه وبين فاعله لأن فاعله مؤنث مجازي فلا تتصل به التاء خاصة إذا جاء الاسم المؤنث في معني اسم آخر كما في لفظ أسوة هنا فحمله على معنى كان قولهم (لأنه أراد بالأسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها)[1]

وحمل المؤنث المجازي على المذكر من خصائص العربية وبه جاءت لغة القرآن الكريم . وقد يكون ذكر على معنى الائتساء[2] أو التأسي كما حكي الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: سمعت أعرابيا يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت له أتقول: جاءته ؟ فقال: أليس بصحيفة؟[3] ومنه قول الشاعر:[4]

إنّ السماحة والمُروءة ضُمنا قبرا بمرو علي الطريق الواضح[5]

والشاهد قوله:ضمنا ولم يقل ضمنتا؛لأنه ذهب بالسماحة إلى السخاء وبالمروءة إلى الكرم[6]،كذلك كثرة الفواصل بين الفعل الناقص واسمه والمتمثل في قوله:(لكم في رسول الله)،هو مما يحسن معه التذكير، قال سيبويه:(وكلما طال الكلام فهو أحسن،.... لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل[7] وذكرت الأسوة حين كانت بمعني العتاب والحث على إتباع الرسول قال الطبري في هذا المعنى:(وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلي الله

---

[1] – الكشاف، الزمخشري، 104/6.

[2] – المصدر نفسه، 104/6

[3] – ضرائر الشعر، ابن عصفور، ص 275. الخصائص، ابن جني، 216/2. العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، محمد حماسة عبد اللطيف، ص 328.

[4] – هو زياد الأعجم

[5] – البيت من شواهد أدب الكاتب، لابن قتيبة، 431/1، وفي ضرائر الشعر، لابن عصفور، ص 276، روى :(أن الشجاعة والسماحة).

[6] – ينظر ضرائر الشعر، لابن عصفور، ص 277.

[7] – ينظر الكتاب، سبويه، 235/1، 38/2.

عليه وسلم وعسكره بالمدينة من المؤمنين به، يقول لهم جل ثناؤه: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة،أن تأنسوا به، وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلفوا عنه)[1]

وفي قراءة همزة – أسوة – لغتان ذكرهما الطبري حيث قال:(أخلفت القرآء في قراءة قوله تعالى:(أسوة) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار، وكان يحيي بن وثّاب يقرأ هذا بالكسر، ويقرأ قوله تعالى:(لقد كان لكم في رسول الله أسوة) الآية ، بالضم وهما لغتان ... الكسر في أهل الحجاز والضم في قيس)[2]

و أسوة: قدوة[3] والأسوة : اسم للتأسي،والقدوة : اسم للاقتداء[4]

فمعناهما واحد كما قيل:"الأسوة – مثل القدوة – ما يؤتسى به،أي يقتدى به، والاقتداء هو السير على سنن من يتخذه قدوة أي مثالا يتبع،وائتسى فلان بفلان– كاقتدى–حذا حذوه،أو نهج نهجه،من قول أو عمل أو عقيدة "[5]

والثاني في قوله تعالى:(**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (الممتحنة:6)** فذكر لفظة أسوة بقوله:(كان) حيث كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم،ولذلك جاء به مصدرا بالقسم؛لأن الغاية في التأكيد[6] ومعناها بهم ائتسوا لتنالوا مثل ثوابهم وتنقلبوا إلى الآخرة كانقلابهم مبشرين بالجنة غير خائفين من العقوبة[7]، وأنّث بقوله:(حسنة).

لفظة أمة بالتذكير:

وردت بالتذكير في قوله تعالى:(**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِّنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِك وَيُعَلِّمُهُم الْكِتَاب وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِم إِنَّك أَنت العَزِيز الحَكِيم (البقرة:129)** وقبل التطرق إلى

---

[1] – جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري 143/21، ودرة التنزيل، وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ص 481.

[2] – جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مج11، 143/21، وينظر الكشاف 21/5.

[3] – معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، 520/1

[4] – الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب، 37/4

[5] – موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، 11/5.

[6] – الكشاف، الزمخشري،ط3، 514/4.

[7] – درة التنزيل، وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ص481.

شرح ظاهرة التذكير في الآية ينبغي الإشارة أولا: إلى المراد بقوله : (فيهم) في الآية الكريمة،لأنها مدار الحديث كله، جاء في كتب التفسير التي اطلعت عليها، أن مدلول قوله:(فيهم) أي: في أمة محمد صلى الله عليه وسلم،أو" في الأمة المسلمة"[1] والمعنى واحد،ومن هنا نستطيع أن نقول: لقد وردت لفظة(أمة) بالتذكير حيث قال الله عزوجل:(فيهم) بصيغة المذكر،لأنه حمل على المعنى،ولو جاء بالتأنيث لقيل فيها.وقوله تعالى:(وابعث فيهم) يعني: في الأمة المسلمة حملا على المعنى، ولو حمل على اللفظ لقيل: فيها[2].

لفظة بلدة بالتذكير:

فقد وردت لفظة بلدة في ثلاثة مواضع وهي قوله تعالى:(**لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا) (الفرقان: 49)**، ذكرت لفظة بلدة في الآية بدليل قوله:(بلدة ميتا)"ولم يقل: ميتة، لأنه أريد بذلك لنحيي به موضعا ومكانا ميتا"،أو لأن البلدة في معنى البلد[3].

لفظة بينة بالتذكير:

فقد وردت اللفظة بذلك في قوله تعالى:(**أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) (الأنعام :157)** والشاهد قوله:(جاءكم بينة) بالتذكير، والدليل تجريد الفعل في قوله:(جاء) من العلامة لأنه لو كان قصد التأنيث لكان –جاءت– بالتاء الساكنة، فذكر لأن لفظ البينة مؤنث غير حقيقي بالإضافة إلى أن البينة و البيان بمعنى واحد وبهذا الوجه الأخير علل القرطبي حين قال:" والبينة والبيان واحد".[4] وحسن التذكير لوجود الفصل وهو(كم) في قوله (جاءكم).

---

[1] – الكشاف، الزمخشري،93/1

[2] – الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب، 374/1، وينظر إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ص 63.

[3] –جامع البيان ، الطبري ، 21/19

[4] – الجامع الأحكام القرآن، القرطبي ، 4، 144/7

والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أم محسوسة وسمي الشاهدان بينة لقوله عليه السلام (البينة على المدعى واليمين على من أنكر)[1]، ومدلول قوله:(قد جاءكم بينة) نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

قال الإمام القرطبي في المعنى نفسه:(والمراد محمد صلى الله عليه وسلم، سماه سبحانه بينة)[2].

وصدف عن الشيء:(أعرض عنه ومال....ويصدفون: يعرضون ويميلون)[3].

والمعنى:(أي قد زال العذر بمجي محمد صلى الله عليه وسلم)[4].

ونظيره قوله تعالى:(**قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**)(**الأنعام:57**) والشاهد قوله:(وكذبتم به) فذكر الضمير وهو للبينة، على رأي من أول البينة بالبيان أول القرآن.

وهو ما عليه الزمخشري حيث قال:(ذكر على تأويل البيان أو القرآن)[5].وقيل (الضمير في (به) يتحمل أن يكون للرب تعالى، وأن يكون للبينة وإنما ذكر حملا على المعنى، لأن البينة والبيان بمعنى، كما أن الصحية و الصوت كذلك)[6].

ويسند هذا الرأي ويقويه ما ذهب إليه العكبري من أن في قوله:(به) وجهين أحدهما: أن الهاء في به تعود على ربي[7]، **والثاني:** يجوز أن تعود على معنى البينة، لأنها في المعنى البرهان والدليل[8].

ونظيره قوله:(**أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ**

---

[1]–الجامع الصغير في أحاديث البشرية النذير ، جلال الدين السيوطي496/1.

[2]– الجامع لأحكام القرآن القرطبي ،مج4، 144/7.

[3]– معجم ألفاظ القرآن الكريك ، مجمع اللغة العربية ، 664/1.

[4]– الجامع لأحكام القرآن مج4 ، 144/7.

[5]– الكشاف ، الزمخشري ، 70/2.

[6]– الفريد في إعراب القرآن المجيد ، المنتجب ، 70/2.

[7]– التبيان في إعراب القرآن للعكبري ، 373/1 . وينظر الكاشف ، الزمخشري ، 70/2.

[8]– التبيان في إعراب القرآن 373/1.

مِنْـهُ إِنَّـهُ الْحَقُّ مِـنْ رَبِّـكَ وَلَٰكِـنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لَا يُؤْمِنُـونَ) (هود: 17) فذكر لفظ – بينة– بقولـه:(يتلـوه)، قـال الزمخشري:(الضـمير فـي يتلـوه عائـد علـى البينـة)[1]، وتـذكيره كـان علـى تأويل البينـة بالبرهـان، لأن المراد بقولـه:(علـى بينـة من ربـه)، أي : برهـان من الله وبيـان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل[2].

وذهب المنتحب إلـى أن الضـمير فـي قولـه:(يتلوه) للبينـة إذا كـان المراد بقولـه:(شـاهد)– القرآن– لأنـه اختلـف فـي مدلول لفظـة الشـاهد، حيث قال:(وقيل: الشـاهد: القرآن، فالضـمير في (يتلوه) على هذا للبينة)[3].

لفظة–الجنة– يستوي فيها التذكير والتأنيث:

من المؤنثات اللفظيـة المجازيـة التـي استوي فيهـا التذكير و التأنيث لفظـة الجنـة وقد وردت بـذلك فـي قولـه تعـالى:(**وَأُزْلِفَـتِ الْجَنَّـةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْـرَ بَعِيـدٍ) (ق :31)** فذكر بقولـه:(بعيد)،(لأنه على زنة المصدر، كالزئير والصليل، والمصـادر يستوي فـي الوصـف بهـا المذكر والمؤنـث، أو علـى حـذف الموصـوف، أي: شـيئا غيـر بعيـد ، وعزيـز غيـر ذليـل)[4]،أو حمـلا على المعنى، لأن الجنة و البستان بمعنى كما أن الموعظة و الوعظ كذلك[5].

لفظة الحياة بالتذكير:

ذكرت لفظة(الحياة) في القرآن في موضوع واحد وهو قوله تعالى:(**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ ۗ وَاللَّـهُ يَـرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (البقرة : 212)** والشاهد قوله:(زين) بحذف التاء دلالة على تذكير الفاعل ولو كان اللفظ مؤنثا لقيل:(زينت) بالتاء، وهذا يجوز في فلسفة اللغة العربية مادام المسند إليه مصدرا و الفعل متقدم عليه، و التذكير على معنى البقاء .

---

[1]–ينظر الكاشف ، الزمخشري، 33/3.

[2]– المرجع نفسه ، 33/3.

[3]–الفريد في إعراب القرآن المجيد ، 613/2.

[4]–ا لكشاف ، 29/6.

[5]– الفريد في إعراب لبقرآن المجيد ، 355/4.

يقول الفراء :(وقوله:(زين للذين كفروا الحياة الدنيا) ولم يقل:(زينت) وذلك جائز، وإنما ذكر الفعل والاسم مؤنث، لأنه مشتق من فعل في مذهب مصدر، فمن أنث أخرج الكلام على اللفظ، ومن ذكر ذهب إلى التذكير المصدر، فمن أنث أخرج الكلام على اللفظ ومن ذكر ذهب إلى تذكير المصدر مستدلا على ذلك بشواهد قرآنية مصدرها مشتقة من فعل جاءت بالتذكير لأنها مصادر بالرغم من أن ألفاظها مؤنثة.

فقال:ومثله(فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى)[1] (قد جاءكم بصائر من ربكم)[2] (وأخذ الذين ظلموا الصيحة)[3] .

وعقب قائلا:" فأما في الأسماء الموضوعة فلا تكاد تذكر فعل مؤنث إلا في الشعر لضرورته "،وقد ذكرت ألفاظ من هذا النوع في الشعر،لا لضرورة ولكن حملا على المعنى[4].

وحمل أبو بكر الأنباري التذكير هنا على المعنى ولأن تذكير غير الحقيقي جائز متى تقدم فعله بعكس لو أسند الفاعل إلى الفعل، لأنه في الحال يجب إلحاق التاء به، ومن ذكر في مثل هذا فعلى المعنى، و الوجه التأنيث. فقال:(فذكر (زين)، والحياة مؤنثة على معنى: زين للذين كفروا البقاء)، (وإذا تأخر الفعل بعد هذه الأشياء، أنت، وقبح تذكيره كقولك: ضربتك أوجعتني، وصيحتك أفزعتني[5]، ويجوز أن يذكر الفعل حملا على المعنى، فتقول:ضربتك أوجعني، وصيحتك أفزعتني. وإنما صار التأنيث أوجد)[6].

والذين أجازوا تذكير اللفظ في حال تقدمه و تأخر الفعل فقد عللوا لذلك بقولهم:(إن الفعل إذا أتى بعد الاسم كان فيه مكنى من الاسم، فاستحبوا أن يضمروا مذكرا، وقبله مؤنث، والذين استجازوا ذلك، قالوا: نذهب إلى المعنى، وقالوا هو في التقديم و التأخير سواء"[7].

---

[1]– البقرة :275 .

[2]– الأنعام : 104.

[3]– هود : 67.

[4]– معاني القرآن،الفراء،125/1.

[5]–ينظر المذكر و المؤنث ، 229/2. وينظر الفريد إعراب القرآن المجيد ، 447/1. وينظر إملاء ما من به الرحمن العكبري ، ص:86.

[6]– المذكر و المؤنث ، 229/2.

[7]– المرجع نفسه 229/2

لفظة خصاصة بالتذكير :

ومن المؤنثات اللفظية المجازية الواردة بالتذكير في لغة القرآن الكريم، لفظة – خصاصة– قد وردت في موضع واحد في عموم القرآن، وجاء ذلك في قوله تعالى:(**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(الحشر : 9)** والشاهد قوله:(كان بهم خصاصة)، لأن تجريد الفعل (كان) من علامة التأنيث دلالة على تذكير اسمه (خصاصة)، وقيل:" ذكر الفعل حين فرق بينه وبين الاسم"[1] .

وذهب ابن عاشور إلى أن تذكير الفعل(كان)لأجل تأنيث الخصاصة ليس حقيقيا، والثاني:لأنه فصل بين(كان) واسمها بالجر[2]

وهناك تعليل ثالث:وهو أنه ربما ذكر حملا على معنى الفقر،لأن المراد بالخصاصة في الآية الكريمة – الفقر– وهو ما عليه الراغب حيث قال:(عبر عن الفقر الذي لم يسد بالخصاصة)[3] وأصل الخصاصة من الاختصاص وهو انفراد بالحاجة؛أي ولو كان بهم فاقة وحاجة[4]

لفظة تذكرة بالتذكير:

لفظة تذكرة مؤنثة لفظا وذكّرت في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:(**كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ) (عبس:11) (فَمَن شَاء ذَكَرَهُ) (عبس:12)** فذكر قوله:(تذكرة) بدليل عود الضمير المذكر عليها في الآية بعدها(فمن شاء ذكره)، بناء على التأويل.

قال الزمخشري:(ذكر الضمير، لأن التذكرة في المعنى الذكر والوعظ)[5].ومعنى قوله:

---

[1] – معاني القرآن، الأخفش، 26/1.

[2] – تفسير التحرير والتنوير، 94/28.

[3] – معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب، ص 167.

[4] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 19/18، الكشاف، الزمخشري، 98/6.

[5] – الكشاف، 209/6.

(فمن شاء ذكره) أي: كان حافظا له غير ناس[1].

ونظيره قوله: (**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ**)(**المدثر:54**) (**فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**)(**المدثر:55**) ف" الضمير في(إنه) و(ذكره) للتذكرة في قوله(فما لهم عن التذكرة معرضين) وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن"[2]. ومذهب الفراء أن الضمير في قوله:(إنه تذكرة) للقرآن حيث قال:"وقوله:(إنه تذكرة) يعني هذا القرآن، ولو قيل (إنها تذكرة) لكان صوابا كما قال في عبس)[3] وعلل ذلك بقوله": فمن قال: (إنها) أراد السورة، ومن قال:(إنه) أراد القرآن"[4].

لفظة رحمة بالتذكير:

وردت بذلك في قوله تعالى:(**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**)(**الأعراف:56**) ذكرت لفظة – رحمة– في الآية والدليل على تذكيرها، الوصف المذكر وهو قوله:(قريب)" والرحمة مؤنثة، فقياسها أن يخبر عنها إخبار المؤنث فيقال قريبة"[5]، بالتاء.

وعدم لحاق علامة التأنيث للوصف (قريب) مع أن موصوفة مؤنث اللفظ، وجهه علماء العربية بوجوده وجلها يدور حول تأويل الاسم بما يراد به اسم مذكر[6].

ذهب الفراء في كتابه المذكر والمؤنث إلى سبب تذكير الصفة والموصوف مؤنث بأن المراد ب(قريب) القرب والبعد وهما لغتان، حيث قال:(إن رحمة الله قريب من المحسنين) وقريبة، لغتان مقولتان في القرب والبعد، فإذا صاروا إلى النسب قالوا: قريبة منك وبعيدة)[7].

يفهم من هذا القول أن تذكير الوصف (قريب) وتأنيثه يجوز فيما لو كان بمعنى الظرف كما في الآية، ولا يجوز فيما لو خرج إلى غيره كالنسب.

---

[1] – المصدر نفسه،209/6.

[2] – الكشاف، 184/6.

[3] – معاني القرآن،206/3.

[4] –المصدر نفسه،206/3.

[5] – النهر الماد من البحر المحيط، لابن حيان، 553/2.

[6] – تفسير التحرير والتنوير،18/8.

[7] –معاني القرآن للفراء،381/1.

وقد أكد ذلك في كتابه معاني القرآن حيث قال: "ذكرت قريبا لأنه ليس بقرابة في النسب، قال ورأيت العرب تؤنث القريبة في النسب لا يختلفون فيها، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منك قريب في القرب والبعد ذكروا وأنثوا. وذلك أن القريب في المعنى وإن كان مرفوعا فكأنه في تأويل:هي من مكان، فجعل القريب خلفا من المكان، كما قال الله تبارك وتعالى:(**ومَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**)[1]، وقال:(**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**)[2] ولو أنث ذلك فبني على بعدت منك فهي بعيدة وقربت فهي قريبة كان صوابا حسنا"[3]، مستدلا بقول عروة بن حزام.

عشية لا عفراء منك قريبة فتدنو ولا عفراء منك بعيد[4].

ومن قال بالرفع وذكر لم يجمع قريبا و(لم) يثنه. ومن قال إن عفراء منك قريبة أو بعيدة ثنى وجمع"[5]

وأما إذا كان في معنى النسب ثني وجع وأنث فقيل: قريبون وأقرباء، وفلانة قريبتي، أي: ذات قرابتي[6]. فلا يكون من باب ما يقع على المذكر والمؤنث.

وعلل الأخفش مجيء لفظة(قريب) بالتذكير في الآية الكريمة بثلاثة أمور:الأول: أن لفظ قريب يذكر ويؤنث.والثاني: حملا على المعنى، والثالث: جعله كالمؤنثات السماعية حيث يجوز فيها التذكير كالشمس، تغليبا للمذكر على المؤنث، لأنه الأصل، والمؤنث فرع عليه، وقد أشير إلى هذا مرات عديدة فيما سبق، فقال(وقال:(إن رحمة الله قريب من المحسنين) فذكر(قريب) وهي صفة(الرحمة) وذلك كقول العرب(ريح خريف) و(ملحفة جديد)

---

[1] –هود:83.

[2] – الشورى:17.

[3] – ينظر معاني القرآن للفراء،381/1،380.

[4]– ينظر ديوانه ، وفيه برواية: عشية لا عفراء دان ضرارها= فترجي ولا عفراء منك قريب) ص:24. والبيت في المذكر والمؤنث، لأبي بكر الأنباري، 45/2 برواية(ليالى لا عفراء منك بعيدة– فتسلو ولا عفراء منك قريب) وجاء في الخصائص، لابن جني ،412/2(فتسلي). وقد سلم الوزن العروضي مع اختلاف الروايات.

[5] – ينظر معاني القرآن الفراء، 381،380/1.

[6] – ينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد،450/1.

و(شاة سديس)[1]، وأن شئت قلت: تفسير(الرحمة) هاهنا المطر ونحوه فذلك ذكر. كما قال:(وإن كان طائفة منكم آمنوا) فذكر، لأنه أراد الناس، وإن شئت جعلته كبعض ما يذكرون من المؤنث.

وعلل الزمخشري تذكير الوصف(قريب) الذي اقتضى دلالة تذكير لفظة(رحمة) في الآية، بأربعة أشياء فقال:(ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب، أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول النقيض والضغيب أو لأن الرحمة غير حقيقي"[2].

ويستنتج مما سبق: أن لفظة ذكرت لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي أو حملا على المعنى ؛لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد، كما أن صيغة "قريب"على وزن "فعيل" وفعيل يستوي فيها المذكر والمؤنث حقيقيا كان أو غير حقيقي"[3]

لفظة ساعة بالتذكير:

وردت لفظة ساعة بالتذكير في قوله تعالى:(**اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ(الشورى: 17)** فذكر بقوله:(قريب) والساعة لفظ مؤنث، والقول في(قريب) هنا كما سبق مع قوله تعالى:(إن رحمة الله قريب من المحسنين)[4]، لأن فعيلا يستوي فيه التذكير والتأنيث، وقيل: هو ظرف زمان أي في قريب من الزمان، وقيل: ذكر حملا على المعنى لأن الساعة في معنى اليوم"[5]، أو لأن الساعة بمعنى البعث[6]

---

[1] – جاء في المزهر، السيوطي، 218/2.(وبعير سدس، سديس، ألفي السن التي بعد الرباعية وذلك في الثامنة، الذكر والأنثى فيه سواء).

[2] – الكشاف،111/2. وينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتحب،315/2. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي،360/3.

[3] – البرهان في علوم القرآن، 360/3.

[4] – الأعراف:56.

[5] – الفريد في إعراب القرآن المجيد، 52/4.

[6] – التبيان في إعراب القرآن، 383/2.

لفظة شفاعة بالتذكير:

وردت لفظة شفاعة، مرة واحدة بالتذكير وذلك في قوله تعالى:(**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) (البقرة:48)**، وموضع الشاهد قوله تعالى:(ولا يقبل منها شفاعة) فذكر الاسم المؤنث بدليل خلو الفعل من علامة التأنيث وهو قوله :(يقبل)، حملا على المعنى.

قال الأخفش:(إنما ذكر الاسم المؤنث؛لأن كل مؤنث فرقت بينه وبين فعله حسن أن تذكر فعله إلا أن ذلك يقبح في الإنس وما أشبههم مما يعقل، لأن الذي يعقل أشد استحقاقا للفعل[1].

لفظة الصلاة بالتذكير:

أما ورودها بالتذكير ففي قوله تعالى:(**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) (الأنفال:35)** فجاءت لفظة الصلاة في الآية مذكرة بدليل قوله:(ما كان) بتجريد الفعل من علامة التأنيث حملا على المعنى؛ لأن لفظ الصلاة هنا جاء في معناه اللغوي وهو الدعاء، وقد جاء لفظ – الصلاة – بهذا المعنى في قول الشاعر:

فإن تكْسُني يارب صليت خمسة وإلا تركت الخمس غير ذميم[2]

فذكر الصلاة حملا على معنى الدعاء، ولذلك الحق التاء في العدد فقال: خمسة ولم يقل:خمسا[3]. ومن الصلاة بمعنى الدعاء أيضا قول الأعشى:

لها حارس لايبرحُ الدهر بيتها وانُ ذُبحتْ صلّى عليْها وزمْزما[4]

وقد يكون ذكر على معنى المكاء وهو ما أشار إليه الزمخشري بقوله:(وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة[5]، فذكروا على المعنى.

---

[1] – ينظر معاني القرآن، الأخفش 261/1.

[2] – ينظر: ضرائر الشعر، ابن عصفور الأشبيلي، ص: 277.

[3] – المرجع نفسه، ص 277.

[4] – ديوانه:186، والبت من شواهد الطبري 104/1، وفيه " إذًا" في موضع "أن أي: (وإذا ذبحت صلى عليها وزمزما)."

[5] – الكشاف ، الزمخشري، 106/2.

وقيل:(جاء الفعل مع كلمة الصلاة مذكرا؛لأن المراد بالصلاة هنا التصفيق والصفير وكلاهما مذكر والصلاة عندهم كانت تفيد الطواف والطواف مذكر أيضا .. فجاء الفعل مع كلمة الصلاة المقصودة بمعناها المذكر جاء مذكرا)[1]، ونلحظ اتفاق الآراء على تذكير لفظة الصلاة في الآية الكريمة وان اختلفوا في تقدير المعنى المراد، والجمهور على رفع الصلاة ونصب المكاء وهو ظاهر[2].

وقرأ الأعمش:(وما كان صلاتهم) بالنصب على تقديم خبر كان(وهي ضعيفة)[3]،(إطلاق الصلاة على المكاء والتصدية مجاز مرسل)[4]

و(المكاء): الصفير و"مكا مكاء صفر بفيه"[5] (وتصدية) يحتمل معنيين:الضجيج والصد[6]، فالأول: من صدي بيديه تصدية: صفق بهما تصفيقا[7] والثاني:بمعنى"صد فلانا عن كذا: صرفه ومنعه"[8] والمعنى الأول أقوى؛ لأنه معتمد من أكثر المفسرين[9]

وأصل الكلمة" تصددة فأبدلت الدال الأخيرة ياء كراهة التضعيف، كما قيل:(دساها)[10]، والأصل دسسها[11]

لفظة الصيحة بالتذكير:

وردت لفظة الصيحة بذلك الصيحة بذلك مرة واحدة في قوله تعالى:(**وَأَخَذَ الَّذِين ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِم جَاثِمِينَ) (هود:67)** وموطن الشاهد قوله:(وأخذ الذين ظلموا الصيحة) فذكر بقوله:(أخذ) لأنه جاء معرى من التأنيث لأن تأنيثه غير حقيقي أو

---

[1] – ينظر حلقة البحث، د. إبراهيم السامرائي، ص 2–3.

[2] – ينظر التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 461/1.

[3] – التبيان 461/1، وينظر الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه:171.

[4] – تفسير التحرير والتنوير، ك9، 339/2.

[5] – ينظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، 209/2.

[6] – نفسه، 209/2.

[7] – معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، 8/2. والكشاف ،106/2. والجامع لأحكام القرآن، والقرطبي، كج7، 400/4، 401.

[8] – معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، 5/2

[9] – الفريد في إعراب القرآن المجيد، 419/2

[10] – سورة الشمس:10، من قوله تعالى (وقد خاب من دساها)

[11] – ينظر التبيان في إعراب القرآن، 461/1، وينظر الحجة في القراءات السبع، ص:171.

حملا على المعنى، والصيحة مصدر، والمصادر تذكر حملا على المعنى قال أبو بكر الأنباري معللا : "ذكّر الفعل، لأن الصيحة بمعنى الصياح "[1]

وساق ابن منظور نفس المعنى ونسبه إلى الأصمعي فقال: ذكر الفعل لأن الصحية مصدر أريد به الصياح"[2]،وأضافه قائلا ولو قيل: أخذت الذين ظلموا الصحية بالتأنيث، كان جائزا، يذهب به إلى لفظ الصحية"[3].

ويتبين مما سبق أن لفظة – الصيحة – ذكرت لوجهين، أولهما:أن تأنيثها غير حقيقي،وثانيهما:حملا على المعنى ؛لأن الصيحة والصياح بمعنى واحد وحسّنه الفصل.

لفظة الضلالة بالتذكير:

جاءت في قوله تعالى:**(فَرِيقا هَدَى وَفَرِيقا حَق عَلَيْهِم الضَّلالَةُ إِنَّهُم اتَّخَذُوا الشَّيَاطِين أَوْلِيَاء مِن دُون اللّه وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مهْتَدُونَ) (الأعراف:31).**

فذكر لفظ(الضلالة) بدليل قوله تعالى: (حق) من غير علامة التأنيث، وقيل:(فذكر الفعل لما فصل كما قال:(لا يؤخذ منكم فدية) (الحديد:11)[4]

وذهب ابن عاشور في تعليله الظاهرة إلى القول:"وجرد فعل(حق) عن علامة التأنيث؛ لأن فعله غير حقيقي التأنيث"[5]، ويجوز تذكيره حملا على المعنى؛ لأن الضلالة اسم مؤنث لفظا، والمذكر الضلال، لأن المؤنثات اللفظية المجازية كلها حملها على المعنى تذكيرا.

والضلالة والضلال" العدول عن الطريق المستقيم وبضاده الهداية قال تعالى:(فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) (يونس:118)[6].

---

[1] – ينظر المذكر والمؤنث لابن الباري، 272/2

[2] – ينظر اللسان، مادة (صيح)

[3] – ينظر اللسان، 522/2، مادة (صيح). وينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 368/3.

[4] – معاني القرآن، 516/2.

[5] – تفسير التحرير والتنزير، ق8، 177/2.

[6] – معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب، ص 333.

لفظة طائفة بالتذكير:

جاءت اللفظة بذلك في أكثر من موضع منها قوله تعالى:(**وَيَقُولُونَ طَاعَة فَإِذَا بَرَزُوا مِن عِندِك بَيَّت طَآئِفَة مِّنْهُم غَيْر الَّذِي تَقُولُ وَّاللّه يَكْتُب مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِض عَنْهُم وَتَوَكَّل عَلَى اللّه وَكَفَى بِاللّه وَكِيلاً**) (**النساء:81**) وموضع الشاهد قوله تعالى:(بيت طائفة) فتجريد الفعل من علامة التأنيث دليل على تذكير الفاعل، لأن الفاعل مؤنث لفظا فيكون تذكيره على المعنى ولو روعي لفظه لقيل: بيتت.

يقول الأخفش معللا:(وقال بيت فذكر فعل الطائفة لأنهم في المعني رجال)[1] وقد يكون تذكير الفعل في(بيت) لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي،

إذ هي بمعني الفريق، والفوج، فهي اسم جمع أو اسم جنس[2]

ونظيرة قوله تعالى:(**وَإِن كَانَ طَآئِفَة مِّنكُم آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْت بِه وَطَآئِفَة لَّم يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُم اللّه بَيْنَنَا وَهُو خَيْر الْحَاكِمِين**) (**الأعراف:87**) وموطن الشاهد قوله:(و إن كان طائفة منكم) وقوله:(وطائفة لم يؤمنوا) فذكر على المعنى، ولو راعى اللفظ لقال: كانت "[3].

لفظة عاقبة بالتذكير:

وردت لفظة عاقبة بذلك في تسعة مواضع أذكر منها قوله تعالى:(**قَدْ خَلَت مِن قَبْلِكُم سُنَن فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْف كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِين**)(**آل عمران: 137**) قال المولى: (كان ولم يقل كانت حملا على المعنى؛ لأن العاقبة والمصير بمعنى، كما أن الموعظة والواعظ كذلك، ولأن التأنيث غير حقيقي)[4]

ونظيره قوله تعالى:(**فَذَاقَت وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرا**)(**الطلاق:9**) فيكون التذكير على المعنى؛لأن المراد(ذوقوا عذابكم الذي كنتم تستعجلون به في الدنيا)[5]،

---

[1] – معاني القرآن، 451/1، وينظر معاني القرءات الأزهري: 131 وجامع البيان الطبري: مج3، 228/5.

[2] – ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه، الدرويش، مج5، 274/2.

[3] – ينظر جامع لأحكام القرآن، القرطبي، 249/7.

[4] – ينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد، 751/2.

[5] – ينظر معاني القرآن، الفراء، 83/3.

أي ذوقوا هذا العذاب"[1] فمرد تذكير هذه الكلمة كما يفهم من خلال ما تقدم سببين:الأول كون تأنيثها غير حقيقي، والثاني: للحمل على المعنى.

لفظة – القسمة – بالتذكير :

لفظة – القسمة – مؤنثة لفظا وذكرت في القرآن وذلك في قوله تعالى:(**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُم قَوْلاً مَّعْرُوفاً) (النساء:8)** والتذكير يفهم من قوله (منه) حيث أعيد ضمير المذكر على القسمة وهي مؤنثة" لأنها في المعنى الميراث والمال فذكر ذلك"[2].

يقول القرطبي:"الضمير عائد على معنى القسمة،إذ هي بمعنى المال والميراث، كقوله تعالى:(ثم استخرجها من وعاء أخيه) (يوسف:16) أي: السقاية،لأن الصواع مذكر، ومنه قوله عليه السلام:" واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"[3] فأعاد مذكرا على معنى الدعاء، وكذلك قوله لسويد بن طارق الجعفي حين سأله عن الخمر"إنه ليس بدواء ولكنه داء"[4]، فأعاد الضمير على معنى الشراب ومثله كثير"[5].

ويفهم مما تقدم أن قوله تعالى: (وإذا حضر القسمة أولي القربى) ثم قال: (فارزقوهم منه) فلأنه حمل على الإرث يعني الميراث أو لأن القسمة المقسوم في المعنى"[6].

لفظة كلمة بالتذكير:

وردت بذلك في قوله تعالى:(**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)(آل عمران:45)** قال: (كلمة) ثم :" قيل فيها (اسمه) بالتذكير للمعنى، ولو أنث كما قال ذرية طيبة" كان

---

[1] – الكشاف الزمخشري، 34/6، والفريد في إعراب القرآن المجبد، 362/4.

[2] – معاني القرآن، الأخفش، 434/1.

[3] – موسوعة الحديث النبوي الشريف الصحيح والحسن، باب الأخلاق 2، فصل الظلم 439، ص:554، وفيه برواية: (اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب).

[4] – الجامع الصحيح للإمام أبي الحسن مسلم القشيري، 89/6.

[5] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 50/5.

[6] – ينظر المخصص، ابن سيدة، 81/16.

صوابا"[1] ولأنه جعل الكلمة هي المسيح لأنه في المعنى كذلك"[2]، فإن قلت: لم ذكر ضمير الكلمة؟ قلت: لأن المسمى بها ذكر"[3].

والكلمة:اللفظة الواحدة الدالة على المعنى، وكلمة الله:حكمة وإرادته"[4]والمقصود (بكلمة) في هذه الآية / عيسى عليه السلام، "ووصف عيسى بكلمة مراد به كلمة خاصة مخالفة للمعتاد أي بدون واسطة أسباب النسل المعتادة وقد دل على ذلك قوله:(إذا قضى أمرا[5])[6]

وفي تذكير المؤنث في الحمل على المعنى هناك ثمانية شواهد وهي:

الشاهد الأول: قال تعالى:" فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ" (آل عمران: 39)" فهناك من قرأ بالتذكير فَنَادَاهُ، فمن ذكر ذهب إلى المعنى التذكير. وما قبله مؤنث " الملائكة" وهي في هذا الموضع جبريل عليه السلام"[7] فالذكر ذكّر " فعل" خرج عن القياس، وعدل به عن المؤنث إلى المذكر، فالفعل يكون مؤنث لتأنيث الاسم الذي بعده فنقول: " فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ".

الشاهد الثاني: قال تعالى:" إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ"(آل عمران: 45) "قيل فيها "اسْمُهُ" بالتذكير للمعنى ولو أنث لكان صوابا"[8] فلفظ (اسمه) جاءت مذكرة، لأنه جعل الكلمة هي " عيسى عليه السلام" لأنه في المعنى كذلك، ومسوغ ذلك هو الحمل على المعنى.

---

[1] – معاني القرآن، الفراء، 213/1، وجامع البيان الطبري، مج3، 289/4.

[2] – معاني القرآن الفراء، 408/1

[3] – الكشاف، الزمخشري، 430/1.

[4] – معجم الألفاظ والأعلام القرآنية 129/2 كتاب التعريفات

[5] – البقرة: 117

[6] – التحرير والتنوير 245/3.

[7] – ينظر: المصدر نفسه، ص 149.

[8] – المرجع نفسه، ص 151.

الشاهد الثالث: قال تعالى:" كَهَيْئَةِ الطير فَأَنفُخُ فِيهِ" (آل عمران:49)، جاءت لفظة الهيئة "مؤنثة" أما اللفظ"فيه"فجاءت على صيغة المذكر فهو يذهب إلى الهيئة بمعنى"الطين" فأنثها[1].

قال:" كهيئة، ثم قال:"فيه" فالأولى مؤنثة، والثانية مذكر، ولو قيل"كهيئة" و"فيها" لكان صوابا، لكنه عدل في ذلك فذكر المؤنث وبذلك خرج عن الشائع المألوف حملا على المعنى لأنه ذهب "بالهيئة" إلى معنى "الطين" فذكر"فيه".

الشاهد الرابع: قال تعالى:"وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار"(البقرة 74)،ففي هذه الآية الكريمة:"ذكر منه" على وجهين إن شئت ذهبت به يعني"منه" إلى أن بعض حجر، وذلك مذكر، وإن شئت جعلت البعض جمعا في المعنى فذكرته بعض. كما تقول النسوة. ضربني بعضكن، وإن شئت أنثته هنا بتأنيث المعنى"[2] فالضمير في كلمة "فيه" جاء مذكرا، وهو عائد على مؤنث وهو "الحجارة". ومسوغ ذلك هو الحمل على المعنى، فذكر"منه" حملا على المعنى بعض "الحجارة" وليس كل الحجارة "وبعض الحجارة جمع في المعنى لذلك ذكر الضمير (الهاء) لتذكير كلمة"بعض".

الشاهد الخامس: قال تعالى:" زين للذين كفرا الحياة الدنيا"(البقرة:212)، قال: "زين" ولم يقل: "زينت"، وذلك جائز، وإنما ذكر الفعل والاسم مؤنث لأنه مشتق من فعل في مذهب مصدر، فمن أنث أخرج الكلام على اللفظ، ومن ذكر ذهب إلى تذكير المصدر، فأما في الأسماء الموضوعية فلا تكاد العرب تذكر فعل مؤنث إلا في الشعر لضرورته، فقد يكون الاسم غير مخلوق من فعل ويكون فيه معنى التأنيث وهو مذكر، فيجوز في التأنيث الفعل وتذكيره على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة أخرى، من ذلك **قوله تعالى: "وكذب به قومك وهو الحق"(الأنعام:66)** ولم يقل "كذبت" ولو قيل لكان صوابا"[3]

---

[1] – الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 152.

[2] – المرجع نفسه،، ص44.

[3] – المرجع نفسه، ص91.

الشاهد السادس: قال تعالى: " وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا"(النساء:08). قال تعالى:"منه" فضمير" الهاء" هنا عائد على القسمة، إذ هي بمعنى المال والميراث"[1] فكلمة القسمة مؤنثة، ولكن عدل عن ذلك فذكر الضمير لأنه عائد على " القسمة" وهي تدل على معنى الميراث والمال.

الشاهد السابع: قال تعالى:" وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ "(النساء: 102). قال" آخره" ولم يقل"آخرون"، ثم قال لم يصلوا، ولم يقل" تصل" ولو قيل: لم تصل كما قيل لجاز ذلك، فإذا كان الاسم المؤنث و هو جمع جعلت فعله كفعل الواحدة الأنثى مثل: العصبة والطائفة والرفعة، ولو شئت جمعته فذكرته على المعنى"[2]

الشاهد الثامن: قال تعالى:" والفتنة أكبر من القتل"(البقرة:217) " فالفتنة" مؤنث ذكر معها أفعل التفضيل لأنها حملت على معنى الكفر، فنقول: والكفر أكبر من القتل.

3- تأنيث المذكر:

وجدت في تأنيث المذكر في الحمل على المعنى شاهدين هما:

الشاهد الأول: **قال تعالى :" مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا" (آل عمران: 99)** قال " تبغونها" يريد السبيل فأنثها، والمعنى"تبغون لها"، والعرب يقولون: أبغى خَادِمًا فارهًا، يريدون ابتغيه لي، فإذا أرادوا ابتغ معي وأعني على طلبه قالوا: أبغي ففتحوا ألف الأولى من "بغيت" والثانية من أبغيت. وكذلك يقولون: المِسْني نارًا، والمسني، واحْلِبْني، واحلبني...، فقوله: احْلِبْنِيْ يريد احْلِبْ، أي أكفِنِ، الحَلَبَ، و أَحْلِبْنِي: أَعِنِّي"[3] " فتتبعونها" جاءت على صيغة المؤنث لأنه أراد السّبيل حملا على المعنى.

---

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3،ج5،ص34.

[2] – الفراء، معاني القرآن، ج1، ص197.

[3] – المرجع نفسه، ص 160.

4- الحمل على اللفظ:

أولا: تأنيث المذكر: هناك ثلاث شواهد في تأنيث المذكر وهي:

الشاهد الأول:قال تعالى:" هب لي من لدنك ذرية طيبة"(آل عمران 38) قال "طيبة لأن "الطيبة" أخرجت على لفظ" الذرية" فأنث لتأنيثها، ولو قيل:" طيبا" كان صوابا، ولا يجوز هذا النحو إلا في الاسم الذي لا يقع عليه فلان مثل: الدابة والخليفة، فإذا أسميت رجلا بشيء من ذلك فكان في معنى فلان، لم يجز تأنيث فعله ولا نعته فنقول: في ذلك حدثنا المغيرة الضبي، ولا يجوز" الظبيبة"، ولا يجوز أن تقول: حدثنا لأنه معنى فلان وليس في معنى فلانة"[1] ففي الآية الكريمة عدول عن المذكر إلى المؤنث، حيث قال تعالى: "طيبة" فأنثها لتأنيث ما قبلها" الذرية" ولو قال: "طيب" لكان صوابا، لأن لفظة "طيبة" جاءت في معنى فلان، لذلك لم يجز تأنيثها. لكنها أفرجت على لفظ" الذرية".

الشاهد الثاني:قال تعالى:"الذي خلقكم من نفس واحدة"(النساء:01): لان "النفس" مؤنثة فقال: واحدة لتأنيث النفس، وهو يعني"آدم" عليه السلام ولو كانت " من نفس واحدة" لكان صوابا فيذهب إلى تذكير الرجل"[2]جاءت لفظة " نفس " مؤنثة لأن الاسم الذي بعدها "صوابا بالتالي يذكر لأنه يذهب إلى تذكير الرجل، مسوغ ذلك هو الحمل على المعنى.

الشاهد الثالث: قال تعالى:" وساءت مصيرا"(النساء:97)" فإذا مضى الكلام بمذكر قد جعل خبره مؤنث مثل: الدار منزل صدق، قلت: نعمت منزلا، ولو قيل: ساء مصيرا لكان صوابا"[3] فالشاهد في قوله: "ساءت" حيث جاء الخبر مؤنثا، ثم قال:" مصيرا" على صيغة المذكر فعدل بذلك عن القياس، والقياس هو أن تقول:" ساء مصيرا".

ثانيا: تذكير المؤنث: تحتوي المدونة المطبق عليها على ثلاثة شواهد في تذكير المؤنث:

الشاهد الأول: قال تعالى:"وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة"(البقرة: 31)

---

[1] – الفراء، معاني القرآن،ج1،ص149.

[2] – المرجع نفسه، ص177

[3] – نفسه، ج1،ص163.

فالشاهد في قوله "كلها"، ثم" عرضهم" حيث جاء الأول على صيغة المؤنث فقال:"كلها" ثم عدل عن ذلك إلى المذكر فقال:"عرضهم"، والقياس:" عرضها" وذلك لأن الضمير "هاء" في كلها جاء مؤنث.

الشاهد الثاني: قال تعالى: إن البقر تشابه علينا"(البقرة:70) جعل" البقر" مذكرا مثل: التمر، وذكر "البقر" يريد يتشابه، ثم أدغم التاء في الشين ومن أنث " البقر"، قال:تشابه فأدغم. وإن شاء حذف التاء الأخيرة ورفع، كما تقول: إن هذه تكلم يا فتى، لأنها في "تشابه" إحداهما تاء تفعل والأخرى التي في "تشابهت" فهو في التأنيث معناه" تفعل".

وفي التذكير معناه"فعل" أبدا مفتوح. والتاء محذوفة إذا أرادت التأنيث، لأنك تريد تشابهت فهي تتشابه أو " البقر" من يذكره ومنهم من يؤنثه"[1] وقيل أيضا أن :" البقر اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء، ومثله يجوز تذكيره وتأنيثه، كنخل منقعر والنخل باسقات" أباقير" ويقال فيه" بيقور" وجمعه" بواقر""[2]، جاءت لفظة" "البقر" في الآية الكريمة على صيغة المذكر وفي ذلك عدول عن الأعراف النحوية، والمعروف عند عامة الناس أن" البقرة" اسم مؤنث لكنها خرجت على الأصل وعدلت به إلى غيره فذكرت.

الشاهد الثالث: قال تعالى :" قد بدت البغضاء من أفواههم"(آل عمران118) " فهناك من قرأ بالتذكير فقال: "بدا"، لأن البغضاء مصدر والمصدر إذا كان مؤنثا جاز تذكير فعله إذا تقدم، مثله مثل **قوله تعالى:" وأخذ الذين ظلموا الصيحة"(هود67) وقوله تعالى أيضا" فقد جاءتكم بينة من ربكم"(الانعام157)** وأشباه ذلك"[3] والفعل" بدت" جاءت مؤنثا لإتصاله بتاء المخاطب، لكن من جعل الفعل مذكر فقد عدل عن الأقيسة النحوية باعتبار أن كلمة " البغضاء" مصدر مؤنث، وفي الشواهد الأخرى ما يؤكد هذا الشاهد، حيث قال في سورة هود:" أخذ" وفي سورة الأنعام قال: "جاءكم" فالفعل في كلتا السورتين جاء مذكر النقد على المصدر الذي جاء مؤنثا لذلك قال " الصيحة والبينة".

---

[1] – ينظر: الأخفش، القرآن، ج1ص236–237.

[2] – الألوسي، روح المعاني، ج1، ص457.

[3] – الفراء، معاني القرآن ، ج1، ص163.

5- الحمل على الفصل:

أما الحمل على الفصل فلم نعثر على الشواهد الكافية ألا شاهدين في سورة البقرة، **فقال تعالى:**" **وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** "**(البقرة:48)** " فذكر الاسم المؤنث فرقت بينه وبين فعله حسن أن تذكر فعله"[1] فالشاهد في قوله تعالى :" لا يقبل" حيث جاء الفعل على صيغة المذكر، ثم أنث الاسم فقال: "شفاعة" ومسوغ ذلك هو الحمل على الفصل، لكن لما فصل بينهما جاء الأول مذكرا والثاني مؤنثا، فعدل بذلك عن القياس والأصل أن يقال" لا تقبل منها شفاعة ولا عدل".

وقال تعالى:" **لئلا يكون للناس عليكم حجة**"**(البقرة:150)** فحجة جاءت مؤنثة لكن تأنيثها غير حقيقي لأنه فصل بين الفعل وفاعله فسهل التذكير.

6- وظيفة العدول:

للعدول قيمة فنية متميزة (التجانس الموسيقي والإيقاعي). وإمتاع القارئ أو المتلقي وجذب انتباهه بتلك النتوءات أو التحولات التي لا يتوقعها في شق التعبير، فهذه هي الفائدة العامة، أما الفائدة الخاصة تتمثل فيما تشعه كل صورة من تلك الصور في موقعها من السياق الذي ترد فيه، من إيحاءات ودلالات خاصة، يقول الزمخشري في ذلك: " لأن الكلام إذا أنقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد". ويبين ابن الأثير قيمة العدول فيقول إن العرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر وإنما يؤتي بها على حسب الموضع الذي ترد فيه". حيث أن ابن الأثير يؤكد أن العناية بالمعنى المقصود والمروي إليه هو الذي يؤدي إلى الخروج أو الإتلاف والميل، أو العدول عن النظام أو القياس إلى اللغة العربية. وبهذا نقول فإن العدول هو ظاهرة لإحدى الظواهر الأسلوبية

[1] - ينظر: الأخفش، معاني القرآن،ج1،ص220.

والنحوية واللغوية التي تثير الملتقي وتلفت الانتباه لما في بنيتها اللغوية الخاصة من خروج غير متوقع عن مألوفة[1].

[1] – ينظر، حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر القاهرة، 1418هـ،1998م/ص26–27.

خاتمة

خـاتـمـة:

نستخلص في الختام أن مصطلح العدول ليس محايدًا دائما بل إن الترويج له أحيانًا بقصد أو بدون قصد من أجل هيمنة قيم حضارية تأتي في سياق عام ليست فنون الأدب كلها وسيلة تعبر عنه حيث يقيم العدول بديلا حقيقيا لطبيعة الثقافة التي أفرزته بكل قيمها الذاتية والحديث عن ظاهرة العدول يحفز على البحث عن البيانات الأسلوبية اللافتة للأمر الذي يجعل البلاغيين والنحويين يحرصون على إعادة بناء أسئلة قراءة الظواهر اللغوية بعيدًا عن المقولات الوصفية الجاهزة، معالجة اللغويون والنحويون في ضوء الحديث عن العدول يمكن بصورة خاصة من قراءة جديدة والمعول عليه في ظاهرة العدول هو تحسين القيم الإجرائية للظواهر البلاغية والنص القرآني ينساق قي ضوء نظام محكم يشبه بعضه بعضا ويتعلق بعضه برقاب بعض وفي كل مكونات النص القرآني نجد النظام نفسه الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي وهذا النظام المعجز هو من أسباب حفظ القرآن منذ نزوله إلى يومنا هذا من غير تغيير أو تطور لفظي في نصه فاللفظ ثابت و المعنى متحرك وهذا أن النظام يحوي المتغيرات الزمانية والمكانية وهو كذلك أهم وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك أن نظامه اللغوي يشبه نظام الكون المبني على التشابه والترابط أيضا، وتعد هذه دراسة للجوانب العديدة لظاهرة الإعراب والعدول فيه والنموذج المقدم بشيء بسيط مقارنة بما تحمله هذه الظاهرة في طياتها من أسرار.

كما نستخلص من ظاهرة العدول في القرآن الكريم:

1- أن اللفظ القرآني وضع وضعًا فنيا دقيقا لذا يجب مراعاة ما ظاهره مخالف للسياق داخل التركيب والآية والسورة للوصول إلى المقصد القرآني.

2- أن العدول العددي بأنماطه المختلفة أدى دورا فاعلا في إضفاء المعنى البلاغي والجمالي على الخطاب القرآني فضلا عن توصيل الفرض الديني الذي يعد من أهم مقاصد القرآن الكريم، بل هو الغاية الأساسية من منظومته البلاغية المعجزة.

3- إن من أهم وظائف العدول العددي في القرآن الكريم إعطاء المفرد حكم الجمع والعكس صحيح أو جعل المثنى مفردا والعكس صحيح أو جعل الجمع مثنى والعكس صحيح أيضا لنكتٍ بلاغية تتعلق بالمقام ووظائفه المقصدية.

كما نستخلص أيضا أن الحمل على المعنى واسع الانتشار في النحو العربي وأن تعدد صور الحمل على المعنى في القرآن الكريم هو نوع من بلاغة القرآن و إعجازه.

وأن تذكير المؤنث واضح جدا لأنه حمل فرع على أصل في حين أن تأنيث المذكر أمر مستغرب ومستنكر لأنه حمل أصل على فرع.

وفي الأخير شرف لي أيما شرف أن ترتبط هذه الدراسة بكتاب الله تعالى متمنيا من المولى عز وجل أن أكون قد وفقت في عرضها وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- ابن الأثير:منار الطالب في شرح طوال الغرائب تحقيق محمود محمد الظاجي، مكة المكرمة.

2-ابن جني: الخصائص جزء2 ط2 تحقيق محمد علي النجار مطبعة دار الكتب المصرية

3- ابن سيدة: المخصص جزء1 ط1 ، بولاق ، بيروت

4-ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1 1984م

5- ابن عصفور: المقرب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الكتبة التجارية الكبرى، القاهرة

6- ابن مالك: الألفية ، ط1 ، دار القلم ، بيروت ، 1984م

7- ابن الأنباري: المذكر والمؤنث ، تحقيق الدكتور طارق الجنابي ، دار الرائد العربي بيروت ، لبناان ، ط2 ، 1986م

8- ابن هشام : معنى اللبيب ، جزء 1، ط1 ، دار الكتب العربية الكبرى

9- ابن هشام: أوضح المسالك، جزء1، ط4، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة النصر، مصر، 1956م

10- ابن هشام الأنصاري:مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة.

11- ابو البركات الأنباري : الإنصاف ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى

12- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم في السبع المثالي ، دار الطبع و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان 1994م

13- أبو بكر بن سراج النحوي: الأصول في النحو، جزء2، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط1 مؤسسة الرسالة بيروت 1988.

14- ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، جزء5 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1996م.

15- ابي علي القالي: ذيل الأمالي والنوادر ، بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، 1980م

16- الإمام أبو الحسن مسلم ابن الحجاج القشيري: الجامع الصحيح، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت

17- الأخفش: معاني القرآن ، تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ط1 1985م

18- الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان

19- الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1989م

20- الزمخشري : الكشاف ، جزء4 ، مطبعة محمد مصطفى ، القاهرة 1308هـ .

21- الفراء : معاني القرآن ، جزء2 ، تحقيق أحمد يوسف ، دار الكتب ، القاهرة 1900م

22- الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر و التوزيع

23- الفراء: معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1980م

24- السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو جزء2 ط1 المكتبة العصرية 1999م

25- السكاكي: مفتاح العلوم ط1 المطبعة اليمنية مصر 1356هـ

26- الشجري : الأمانلي الشجرية جزء2 ، ط2 ، دائرة المعارف العثمانية

27- الخضري: الحاشية على شرح ابن عقيل ، ط1 مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1340هـ.

28- الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن، دارالفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م

29- سيبويه: الكتاب جزء2 تحقيق عبد السلام هارون ط2 بيروت 1983

30- عبد القاهر الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق الدكتور كاظم، ط1، دار الرشيد 1982.

31- مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، الإدارة العامة للمجمعات و إحياء التراث ، مصر ، ط1 1989م.

32- محمد ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط1 ، .2000

33- محمد إبراهيم عبد السلام : رسالة الماجستير ، ظاهرة العدول في اللغة العربية إشراف الدكتور عبد الرحمان محمد إسماعيل ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989م.

34- محمد حماسة: النحو والدلالة ، دار الشروق ، ط1 ، 2000م.

35- محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ،1972م

36- محمد سمير اللبدي: معجم المصطلحات النحوية و الصرفية ، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ، ط2 ،1986م.

37- محمد إسماعيل إبراهيم: معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية ، دار الفكر العربي، ط2 .

38- محي الدين الدرويش : إعراب القرآن و بيانه ، دار الرشيد ، ط2 ، 1983م .

فهرس المحتويات

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	
كلمة شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول:	
1- مفهوم العدول	4
1-1- مصطلح العدول عن القدماء	6
1-2- مفهوم العدول عن المحدثين	9
1-3- مفهوم العدول عن النحويين والبلاغين	10
2- التمييز بين هذه المصطلحات	13
2-1- بين العدول والانحراف	13
2-2- بين العدول والانزياح	15
2-3- بين العدول واللحن	16
3- الفروق الجوهرية بين العدل والعدول	17
3-1- وجوه الاتفاق	17
3-2- وجوه الاختلاف	18
4- مفهوم التعادل	19
5- المعادلة	20
6- معيار العدول	21
6-1-مستوى الصواب والخطأ	23

6-2- النظرة الجديدة للأخطاء	25
7- أنواع المعيار	27
7-1- المتلقي معيار الصواب والخطأ	29
8- أنواع العدول	30
8-1- العدول الصوتي	30
8-2- أسباب العدول الصوتي	31
8-3- العدول النحوي	32
8-4- العدول الدلالي	34
8-5- العدول الصرفي	35
8-6- العدول على مستوى الكتابة	36
الفصل الثاني:	
المبحث الأول: العدول في الإعراب	40
1- معنى العدول	40
2- معنى الإعراب	40
أ- العدول عن الرفع إلى الجر وعكسه.	41
أ-1- العدول عن الرفع إلى الجر	41
أ-2- العدول عن الجر إلى الرفع	43
ب- العدول عن النصب إلى الجر وعكسه	44
ب-1- العدول عن النصب إلى الجر	44
ب-2- العدول عن الجر إلى النصب	45
ت- العدول عن النصب إلى الرفع وعكسه	48
ت-1- العدول عن النصب إلى الرفع	48

ت-2- العدول عن الرفع إلى النصب	49
المبحث الثاني: العدول في العدد في النص القرآني	50
1- العدول بين الإفراد والتثنية	51
1-1- من الإفراد إلى التثنية	51
1-2- من التثنية إلى الإفراد	53
2- العدول بين الإفراد والجمع	55
2-1- من الإفراد إلى الجمع	55
3- العدول بين التثنية والجمع	57
3-1- من التثنية إلى الجمع	57
3-2-من الجمع إلى التثنية	58
4- العدول في العدد	61
4-1- الحمل على المعنى	61
أولا: مخاطبة الاثنين بلفظ واحد	61
ثانيا:مخاطبة الجماعة بلفظ الواحد	64
ثالثا: التعبير عن الواحد بلفظ الجمع	66
رابعا: التعبير عن المثنى بلفظ الجمع	67
خامسا: التعبير عن جمع الكثرة بالقلة	68
4-2- الحمل على اللفظ	69
أولا: مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة	69
ثانيا: مخاطبة الجماعة بلفظ الواحد	70
المبحث الثالث: تذكير المؤنث حملا على المعنى في القرآن الكريم	72
1- آراء العلماء في ظاهرة تذكير المؤنث	72

2- الألفاظ المؤنثة الواردة بالتذكير حملا على المعنى في القرآن الكريم	74
3-تأنيث المذكر	92
4- الحمل على اللفظ	93
5- الحمل على الفصل	95
6- وظيفة العدول	95
خـاتمة	97
المصادر والمراجع	100
الفهرس	

الملخص:

إن اللغة العربية مليئة بالظواهر اللغوية وظاهرة العدول من أكثر الصور استخداما عند العرب وقد وردت هذه الظاهرة في القرآن الكريم وهذا هو عنوان البحث الذي قمت به.

والعدول هو صرف الكلام عن وجهه الحقيقي الذي كان له. ولم يكن هذا الصرف والعدول بغير فائدة.

ولهده الظاهرة صور وأشكال متنوعة، العدول في الحركات الإعرابية، العدول في العدد، العدول في الجنس، تذكير المؤنث، تأنيث المذكر، التعبير عن الجمع بلفظ الواحد، التعبير على الواحد بلفظ الجمع والحمل على المعنى والحمل على اللفظ والحمل على الفصل.

الكلمات المفتاحية: العدول، الحركات الإعرابية، العدول في العدد، العدول في الجنس

Résumé

La langue arabe est pleine de phénomènes linguistiques et celui du renoncement est fréquemment employé chez les arabes on trouve également ce phénomène dans le Coran et – celui – ci est l'objet de mon étude.

Le renoncement consiste à faire éloigner la parole de son aspect correct, Ce fait n'est pas sans utilité. ce phénomène a plusieurs formes: celui dans la déclinaison, celui du nombre et du genre celui ,la mas colonisation du féminin celui, la féminin station du mas culin , celui d'exprimer le pluriel par le singulier et son contraire .

Mots-clés: inverse, les mouvements syntaxiques, le nombre inverse, inverser le sexe